20 me année No 1000

Le Caire 1 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — أول سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

بلغنا العدد الألف !

نعم ، بلغنا العدد الألف ! ومعنى ذلك انقضاء ألف أسبوع من عمر الرسالة الباقية ، أوعشرين عاما من عمر صاحبها الفانى ! وإن عشرين عاما يقضيهـا الـكاتب المتأمل فى هذا المرصد الأدبى والاجتماعى يصوب مناظيره إلى كل سماء ، وينصب مخابيره فى كل أرض ، لَـتَـكشفُ له عن ظواهر فى الآفاق ، وعن بواطن فى الأنفس ، ما كان ليراها ، لا بعينه ولا بقلبه ، لوأنه جلس مجلس الشاهد المتفرج فى مسرح الحياة .

قضيت ثلث عمرى الأعلى والأغلى دائبا دءوب القمرين ، أعمل ليل نهار فى عالم عبقرى الأحلام والرؤى ، يزخر بالعقول النيرة ، والنفوس الخيرة ، والأخيلة الخصبة ؛ أناجيهم بالروح ، وأخاطبهم بالقلم ، وأقابلهم فى البريد ، وأجمل لهم من صفحات الرسالة جواء يسبحون فى أطباقها مع الملائكة ، ورياضا يهيمون على زهورها مع الفراش ، وحقولا يعسلون من رحيقهـا مع النحل ، حتى اجتمع لهم من أفانين الحق والخير والجمال عشرون مجلدا ضخما هى تاريخ نهضة وثورة أمة وتراث جيل

***

فى ذات عشية من عشايا نوفبر من عام ١٩٣٢ زرت أخى الدكتور طه حسين فى دارته بالزمالك . وكنت منذ أربعة أشهر قد رجعت من العراق بعد ما أغلقت دار المعلمين العليا ببغداد ، وكان هو قد أنزل عن كرسيه فى كلية الآداب من جامعة فؤاد .

فقلت له بعد حديث شهى من أحاديث الذكرى والأمل : ما رأيك فى أن نصدر معا مجلة أسبوعية للأدب الرفيع ؟

فضحك طه ضحكته التى تبتدئ بابتسامة عريضة ، ثم تنتهى بقهقهة طويلة ، وقال :

وهل تظنك واجدا للمجلة الأدب الرفيع قراء فى مجتمع ثقافة خاصته أوربية ، وعقلية عامته أمية ، والمذبذبون بين ذلك لا يقرأون — إذا قرأوا — إلا المقالة الخفيفة والقصة الخليعة والنكتة المضحكة ؟

فقلت له : لعل من بين هؤلاء وهؤلاء طبقة وسطا تطلب الجد فلا تجده ، وتشتهى النافع فلا تناله

فقال وهو يهز رأسه ويمط شفتيه : حتى هذه الطبقة ، إن كانت ، ستقبل على الجد النافع أول الأمر لأنه تغيير وتنويع ، فإذا ما ألح عليها لا تلبث أن تسأمه وتزهد فيه . والمثل أمامك فى « السياسة الأسبوعية » .

فقلت له : ربما كان لإقبال القراء على « السياسة الأسبوعية » ولإدبارهم عنها سببان آخران غير التغيير والسأم . كانت هـذه

المجلة أول ما صدرت قوية غنية خصبة فأصبحت حاجة ؛ ثم اعتراها مايعترى الكائن الحى من الوهن والانحلال فصارت فضلة

فقال لى بعد نقاش طويل : أنت وشأنك ! أما شأنى فهو القتال الذى أكتبه ، والرأى الذى أراه

وكان يظاهرنى على تفاؤلى أصدقائى الأدنون من لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فكانوا بهذه الظاهرة نقطة الارتكاز ومبعث المدد

وأخيرا تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة . صدرت قوية بالروح ، غنية بالمادة ، فتية بالأمل ، فكانت ولله الحمد حدث العام وحديث الناس ! صادفت خلاء فشغلته ، وخللا فسدّته ، وعبثا فحاولت أن تصد عنه بإيقاظ النخوة فى الرءوس والكرامة فى النفوس والرجولة فى النشء . ثم حركت فى الملكات الموهوبة ساكن الشوق إلى الإنتاج فأبدعت ، وأهابت بالقوى الأدبية المتفرقة فتجمعت . ثم سفرت بين الأدباء فى كل قطر من أقطار العروبة ، فعرفت بعضا إلى بعض ، وأطلعت كلا على عمل كل . ثم قادت كتائب الفكر والبيان فى ميادين الإصلاح الأدبى والاجتماعى والسياسى على نهج واضح من الدين والخلق ، فكتب الله لها النصر فى معارك ، ووعدها الفوز فى معارك . ولو كانت الرسالة اليوم بسبيل أن تكشف عن قلبها ، وأن تتحدث بنعمة ربها ، لذكرت فيما تذكر بلاءها العظيم فى إنهاض الأدب ، وتوحيد العرب ، وتخريج طبقة من الأدباء ، وتثقيف أمة من القراء ، بله مجاهدتها السلطان الباغى والثراء الطاغى والفقر المهلك . ولكنها ترى ذلك من لغو الحديث مادام (وحى الرسالة) منشورا وأعداد المجلة محفوظة

كانت نشأة (الرسالة) كنشأة (الوفد) من كل الوجوه ؛ وكان تطورها كتطوره من بعض الوجوه . نشأت الرسالة كما نشأ الوفد إجابة لحال مقتضية وضرورة موجبة . لم تكن فى مصر حين صدرت الرسالة مجلة أدبية تعالج فنون الأدب العالى ، وتقدر نتاج الأديب الحق ، وتقضى حاجة القارئ الجاد . إنما كان الأدب السامى حينئذ خبىء الصدور وحبيس الكاتب . فلم تكد تخرج إلى الناس حتى احتشدت فيها القوى الدخرة ، وظهرت على صفحاتها الملكات المستترة ، فلم يبق فى العالم العربى صاحب نثر أو شعر إلا أشرق فيها عقله ، وانتشر مع انتشارها فضله

كذلك لم يكن فى مصر يوم ظهر الوفد جماعة سياسية تواجه مشكلات الحرب العالمية الأولى ، وتوجه خطوات الثورة المصرية الثانية . إنما كانت السياسة يومئذ أصداء خافتة لأصوات الماضى ، وآراء متهافتة من ترهات الحاضر . فلم يكد سعد زغلول يؤلف الوفد حتى انضم إليه عباقرة الرأى ودهاقين السياسة ، فلم يبق فى مصر صاحب قلم أو لسان أو منطق أو جاه إلا قصر جهده على الوفد ، وأضاف جهاده إلى جهاد سعد

ثم سعى الشيطان بين الإخوة فتصدع الشمل وتفرق الهوى وتمزقت الوحدة . فانشق على الرسالة كتّاب ، واشتق منها صحف ، كما انشق على الوفد أقطاب ، واشتق منه شعب . فضعف الأصل ولم يقو الفرع ، واعتل المصدر ولم يصح المشتق ، وخسر الفرد ولم يربح الجمع . وأصبحت الرسالة رجلا واحدا يجتمع من حوله أشياع الفكرة ، كما أصبح الوفد رجلا واحدا يسير من خلفه أتباع المبدأ

على أننا نطمع فى فضل الله أن يزيد الرسالة قوة فى عهد مصر الجديد . وما تسأل الرسالة العون إلا من الله ؛ فقد عودها جل شأنه ألا تفزع إلا إليه فيما يحزب من أمر وما ينوب من مكروه

ولعل السر فى بقائها إلى اليوم على ضعف وسيلتها وقلة حيلتها أنها عفّت عن المال الحرام ، فلا تجد لها اسما فى (المصروفات السرية) ، ولا فعلا فى المهاترات الحزبية ، ولا حرفا من الإعلانات اليهودية

وإذا لم يكن للفضيلة نفاق فى عهد غرق فيه (القصر) فى الفحش والمنكر والبغى والاغتصاب والاستبداد والقتل ، وارتطمت فيه (الحكومة) فى الاختلاس والغش والخيانة والرشوة والمحاباة والختل ، فإنا لنرجو أن يكون لها من السيادة والفوز نصيب ، فى عهد يتولى الأمر فيه باذن الله على ماهر ومحمد نجيب !

احمد حسن الزيات

«الرسالة» موئل الرأى الحر

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

أعتقد أن أهم ماتهدف إليه رسالة الصحافة فى الوجود إنارة الرأى العام وتبصيره ببواطن الأمور وخفاياها ، ولن تتمكن من تأدية هذه المهمة إلا إذا احتضنت الرأى الحر ، وصارت موئلا له . والصحافة التى لا تحتضن الرأى الحر ولا تصير موئلا له — لا تعتبر صحافة فى ميزان الحق ولو بلغت الذروة من المجد والقمة من الذيوع .. والصحف فى مصر كثيرة لاحصر لها ، ولكنها مع تباين مشاربها ، وتنوع اتجاهاتها ، وتعدد ألوانها ، لاتظفر بواحدة منها تقيم للرأى الحر وزنا ، وتحسب له ولوذرة من الحساب ، فهى إما حزبية يهمها تأييد سياسة حزبها والتنديد بسياسة غيره ، وإما مستقلة يهمها أن تظل على الحياد — مؤثرة نشر الموضوعات التى لا تحتمل الجدل ، ولا تجر إلى المناقشة . وهى إما طائفية تعنى بالدعاية لمذهبها ، وسلق مخالفيه بألسنة حداد . وهناك لون رابع تافه تفاهة تجعله لا يشعر بوجوده ولا يكترث لظهوره

والذى لا ريب فيه أن هذا التقسيم لايشمل مجلتنا (الرسالة) إذ أن لها مشربا خاصا يميزها على غيرها ، واتجاها فريدا يجعلها فى معزل عن سواها — أما مشربها فهو الأدب المصفى . تحمل إلى العروبة رسالته — وتتزعم وحـدها جبهته ، وتذود عن كرامته ، وتنقيه من شوائب الدخن ، وتحميه من بوادر الوهن . وأما اتجاهها فهو إلى تشييد حصن حصين للرأى الحر . وإقامة مسرح أمين للبحوث الجريئة ، وبهاتين الخاصتين استطاعت الرسالة أن تشق طريقها فى الحياة مرفوعة مكرمة . وأصبح لها مكانتها المرموقة فى مصر والشام والعراق والمغرب ، وفى كل بلد ينطق بالضاد ويعتز بالعربية ، وأصبحت موضوع ثقة الطبقة المثقفة ، ومحل تقدير عشاق الأدب

وحين نقول :ـ إن مشرب الرسالة هو الأدب المصفى . فإنما نقصد الأدب الخالص المعتمد الذى يتناوله الأديب وهو أكثر ما يكون اطمئنانا . ويتلقاه المتلمذ إليها وهو أوفر مايكون شوقا إليه وائتناسا به . وليس معنى قولنا : إن مشرب الرسالة الأدب أنها معنية بمادة الأدب وحدها ، وإنما معنـاه أن الأسلوب فى شتى موضوعاتها من الأدب الممتاز . حتى لتجد أن الألفاظ كلها منتقاة ، وأن العبارات جميعها مصفاة ، وأن صفحات الرسالة قد حرم عليها الركة فى الأسلوب ، والتعقيد فى الألفاظ ، والتكلف فى العبارات ، وأحل لها المرونة المتقنة ، والعذوبة الممتعة . وليس من المبالغة فى شئ إذا قلنا : إن موضوعات الرسالة سواء أكانت فى الأدب أم فى التاريخ أم فى الدين أم فى السياسة أم فى الفن أم فى غير هذه ، هى من الموضوعات القيمة المقدرة لأن لها مستوى يجـب أن يظل عاليا لايرقى إليه ولا يعلى فوقه . ولذلك فهى لا تتسع إلا للموضوعات الحية القوية فى أسلوبها ، وفى مادتها ، وفى أدلتها وبراهينها

وحين نقول : إن للرسالة اتجاها خاصا هو تشييد حصن حصين للرأى الحر ، فإنا نعتبرها الوحيدة فى الصحف والمجلات المميزة بهذا الاتجاه الخطير الدقيق . تفتح له صدرها ، وتفسح صفحاتها ، وتطلق له العنان حتى يؤدى مهمته آمنا من جمود المتزمتين ، وسفه المتنطعين ، وثرثرة الفارغـين ، وجعجعة المتخلفين ، وصلف المكابرين . فالرسالة لاتجد غضاضة فى أن ينقد على صفحاتها أبرز كتابها ، ولو كان صاحبها ، وأن يناقش أكبر الناس ، ولو كان ممن بلغوا أسمى مكانة فى العلم والأدب ، لأن الجميع فى ميدانها سواسية كأسنان المشط ، لافرق بين كبيرهم وصغيرهم ، ورئيسهم ومرءوسهم ، إلا بقدر ما يصيب كل منهم من التوفيق والسداد ، وبقدر ما يقدم كل منهم من قوى الحجة وساطع البرهان . .

أول عهدى بالرسالة كتلميذ لها كان منذ أن عرفت الطريق إلى الصحف ، فاتخذتها كرجع ملم له قدره ومنزلته . أنهل من معينه كلما شئت ، وأتناول منه غذاء فكريا كلما احتجت ، ويحتل من نفسى المكانة الأولى ممتزا به اعتزازى بأغلى كنز فى عالم الأدب . وأول عهدى بالرسالة ككاتب متواضع من كتابها كان منذ أعوام قلائل ، يوم أن كتبت لها منتقدا رأيا فى التفسير للامام محمد عبده ، وأنا واثق من أن الإقدام على نقد أمثال

على ضوء علم الاجتماع

حركات الاصلاح

للدكتور عمر حليق

الإصلاح نشاط اجتماعي . ويعرف علم الاجتماع(١) « الحركة الاجتماعية » بأنها « مجهود عملي مشترك تقوم به طائفة واعية من أفراد المجتمع لكسب ولاء الشعب ومعونته لإحداث تبديل فى الوسائل والأساليب التى تتوخى خدمة الصالح العام » . وقد يكون قالب هذا التجديد حديثا لم يصنع من قبل ، أو قد يكون إحياء « لنموذج سبق استعماله . وفى كلتا الحالتين فإن الدافع لتبديل الأساليب والوسائل ناتج عن الاستياء من الوضع الراهن وعن الرغبة فى إصلاح الأمور

إذن فالمجهود الإيجابى المشترك بين الطائفة الواعية وبين المجموعة الشعبية التى تمنحها الولاء والمعونة هو ما يعرف فى الاجتماع « بالحركة الاجتماعية » . وهذا التعريف يفترض أن يكون هدف الحركة خدمة المصلحة الجوهرية للشعب بأسره أو للكثرة الساحقة من أفراده . فقيام نفر من أعضاء جمعية معينة لتعديل دستورها أو تغيير مجلس إدارتها لا يعد حركة «اجتماعية» لأن هذا التعديل يمس مصلحة الجمعية وأعضائها ولا يهدف

---

(١) كان اجتهاد المدارس الاجتماعية للتعرف على ميلاد الحركات الاجتماعية ونموها مقصورا على دراسات فردية لبعض النظم السياسية والفكرية والأحزاب وما إليها من أوجه النشاط الاجتماعى . ولم يكن هذا الاجتهاد يتوخى استنباط أسس علمية يوزن بها نشاط الناس وتكتلهم لتبديل وضع من الأوضاع ويوفر للباحث عوامل يستطيع معها أن يترقب ميلاد الحركات الاجتماعية وأن يتنبأ بتطورها خيرا أم شرا . وتنفرد تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها بأنها قد أولت هذه الناحية عناية خاصة — لعلها أبرز ما فى الماركسية من مادة « اجتماعية » . ولكن معظم الأوساط العلمية فى الغرب كانت ولا تزال تعالج التراث الماركسى معالجة سلبية تتعمد تجريده من كل شئ تقريبا — من الأمانة العلمية ومن الاجتهاد الفكرى الصادق وتقيسه بمقاييس الخير والشر والمصالح السياسية والاقتصادية والفكرية التى تفصل العالم إلى معسكرين يبدو أن لا أمل الآن فى إزالة خصومتها

وكانت الأحداث السريعة المتلاحقة التى ألمت بالتاريخ الحديث وما أولدته من ثورات وانقلابات سياسية وفكرية حافزة أغرى علم الاجتماع بأن يولى موضوع « الحركات الاجتماعية » عناية خاصة . والفضل فى تسليط مجهر العلوم الاجتماعية على هذا الموضوع يعود إلى الفرنسيين وذلك إثر التطورات الخطيرة التى خلقتها الثورة الفرنسية فى المجتمع الفرنسى وفى المجتمعات الأوربية الأخرى . وقد اهتم الألمان بمعالجة هذا الموضوع كما تشهد على ذلك كتابات (لورنز فون ستين) و (ماكس ويبر) و (زومبارت)

Lorenz von stein, Geschechte de Rocialen Bewegune Frnkreichs, Max weber, wirtschaft and Gesellschaff

والطليان مجهود طيب فى بحوث (روبرت ميشيلز) و (ف . باريتو) و (موسكا)

Roberto Michels. Corso di sociologia Polinea, v. Pareto. Tratta di sociologia Generale

أما أوفى المراجع الحديثة فيعتقد كاتب هذه السطور أنها للمدرسة الاجتماعية الإنجلوسكسونية ومنها على سبيل المثال :

H, Cantril, Psychology of social movementsi

S, Nevman, Permenant Revolvtion

K, Mannheim Ideology and Utopia

R, Nerberla Social Movements

وطائفة من البحوث القصيرة فى مجلات الاختصاص

الإمام محمد عبده ليس بالشيء الهين اليسير ، ولكن ثقتى بالرسالة واعتزازها بالرأى الحر شجعنى على الإقدام من غير توان أو تباطؤ ، ولم يكد يمضى أسبوع واحد حتى نشرت كلمتى ونشر رد بعدها لأستاذ جليل ، وبذلك ازددت إيمانا بأن الأدب والعلم بخير فى مصر والشرق ، مادامت الرسالة باقية تتلألأ طلعتها ويشرق نورها

إن ثمة خاصة من خصائص الرسالة اختصت بها وحدها فهى المجلة الوحيدة التى تعبأ بالموضوعات دون أشخاص كتابها ، والتى تهمل التوقيع حتى تفرغ من قراءة الموضوع ، وبذلك أدت خدمة جليلة للأدب والعلم حيث قدمت إليهما أعلاما مبرزين ظلوا مجاهيل خلف الصفوف ، وضحايا للأثرة والأنانية حتى أخذت الرسالة بأيديهم ، وقدمت إليهم دراسات حية كانت متوارية بين أضابير الإهمال والنسيان ، وكادت تختنق بين ضوضاء السفاسف والتوافه فى شتى الموضوعات . حتى أدركتها الرسالة وأنقذتها وأعادت إليها الحياة من جديد

وبعد فإن الرسالة اليوم لجديرة بأن تكون أكبر مدرسة لطلاب العلم وعشاق الأدب فى الشرق ، وميدانا حرا لأبرز الكتاب ، وأقيم البحوث ، ومنبتا خصبا للرأى الحر ، والنقد الجرىء ، وعنوانا للمثل العليا فى دنيا الأدب والعلم والفضل

محمد عبد الله السمان

مباشرة خدمة المجتمع القومى الأكبر . وبنفس المنطق لا يمكننا أن نعرف « التيارات » و « الاتجاهات » الفكرية أو السياسية بأنها حركة اجتماعية . فإذا اتجه الناس نحو المطالبة بحق من الحقوق أو تبديل وضع من الأوضاع ، وإذا ساد هذا الاتجاه تيارات فكرية معينة فذلك لا يعنى أن هناك « حركة » بمعناها الاجتماعى الذى نحاول أن نعالجه فى هذا المقال

وأبرز ما يعنى به علم الاجتماع هو الحركات الاجتماعية التى تولد فى نطاق شعبى واسع وتؤثر فى صميم الأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو المقدمات الثقافية والخلقية للأمة بأسرها

وعلى ضوء هذا التعريف فإن لنا أن نستنتج بأن للحركة الاجتماعية صبغة مزدوجة طابعها الهدف والإنشاء فى آن واحد . فهى موجهة ضد وضع معين تأمل الحركة فى تعديله أو إزالته ؛ وهى فى نفس الوقت طامحة إلى تحقيق برامج وأهداف إنشائية ديدنها خدمة الصالح العام

إذن فالحركة الاجتماعية تستند إلى عنصرين رئيسين هما : « القضايا » التى أخذت الحركة على عاتقها حلها والتغلب عليها ، و « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التى تنوى التقيد بها وتحقيقها بمعونة الشعب ولمصلحته العامة . وهذا التحديد يدفعنا لأن نتساءل عن جوهر « القضايا » وعن أسس « الأيديولوجية » التى تؤدى إلى ميلاد الحركة وإلى كسبها ولاء الشعب ومعونته ، ومن ثم إلى الاستقرار والنجاح

وهنا يحسن بنا أن نقرر بأن السلوك الإنسانى لا ينشط ضد وضع ما ، وفى صالح هدف معين إلا حين يمر فى تجربة قاسية تؤثر فى المقدمات السياسية والاقتصادية والدينية التى يعيش عليها ، وفى المثل العليا التى تتعلق بها الجماعات الإنسانية ؛ فالحرية الفردية والكرامة القومية والقيم الإنسانية الأصيلة التى هى فى قرارة النفس تتوازى فى مجال المقارنة مع المصالح السياسية والاقتصادية . وقد تمر الجماعة الإنسانية خلال هذه التجربة القاسية فى ألوان من المحن والملمات التى تمعن فى تحدى المصلحة الشعبية ومقوماتها ومثلها العليا وقيمها الإنسانية ، ولكن الحركات الاجتماعية لا تتبلور وتنشط للعمل الإيجابى إلا حين تبلغ هذه التجربة القاسية منتهاها ، وهذا لا يكون إلا إذا كان المنتهى شاملا عاما لا يقتصر سوءه على طائفة معينة أو مجموعة محدودة العدد من أفراد الأمة ، وإنما يمس الكيان الشعبى بأسره ، وهو كيان له سيطرة قوية على عقول الناس وأفئدتهم حتى لو ساد الناس فى بعض الحالات فتور وسلبية إزاء التجارب والمحن(٢) ...

وقد يتريث دعاة الحركة وقادتها والشعب بأسره قبل القيام بعمل إيجابى عاجل لحل « القضايا » وتنفيذ « الأيديولوجية » ولكن هذا التريث ليس إلا نتيجة حتمية لهول الصدمة التى أوجدتها التجربة القاسية . وعلم الاجتماع يقرر بأن الذيول التى تتولد عن هذه الصدمة لابد لها من أن تسير على منوال المساوئ التى كانت سائدة فى الوضع الذى أوجد الصدمة ودفع المحن والتجارب المريرة إلى المنتهى . وهذا يعنى أن سلوك أولياء الأمر فى الأمة المسؤلين عن هول الصدمة الكبرى وعن سوء الأوضاع الراهنة سيمعن فى التحدى محاولة منه للقضاء على ما تبقى فى نفسية الفرد وفى شعور الأمة من معنوية وكرامة . وهذا السلوك ظاهرة اجتماعية قل أن يشذ عنها المسؤلون عن الكرامة القومية الذبيحة وآلام النفس المعذبة

وعلى ذلك فإن ميلاد الحركات الاجتماعية (سياسية كانت أو عسكرية أو دينية) أمر لابد منه . . ومبلغ حماس الحركات وإخلاصها لحل «القضايا» والتغلب عليها وتحقيق«الأيديولوجية» الإصلاحية الجديدة يتوقف على حدة الصدمة وفظاعة المنتهى

ويمكننا استنادا إلى هذه الحقائق الاجتماعية أن نؤكد بأن جوهر « القضايا » التى تتولى الحركات الاجتماعية معالجتها والتغلب عليها يتوقف على مبلغ الخطر الذى تتعرض له مقومات الحياة القومية ومصالح الشعب السياسية والاقتصادية والقيم والمثل العليا التى تعيش عليها الكثرة الساحقة من أفراد الأمة

أما جوهر « الأيديولوجية » — المبادئ والبرامج والأهداف — التى تؤمن الحركة وتعمل لتحقيقها فيتوقف على مفهوم الحركة وقادتها لحقائق هذه « القضايا » وأى منها كان السبب المباشر للصدمة التى ألمت بالكرامة القومية وبمصلحة السواد الأعظم من الشعب . وهل سوء الجهاز الإدارى هو

(٢) لا ريب أن محنة المصريين والسوريين والعرب والمسلمين جميعا فى تجربة فلسطين القاسية مثل على هذا المنتهى

ضعف القوة العسكرية أم فقدان القيم الدينية وانحلال القيم الأخلاقية وتفشى المساوئ الاجتماعية ؟ وهل الخطر الذى يهدد الكيان القومى موجه من عدو يترقب؛ أم أن أعداء الأمة هم الفاسدون من قادتها وأبنائها ؟

وعلى مدى تقدير الحركة الاجتماعية الجديدة لحقائق هذه «القضايا» يتوقف استقرارها ونجاحها ومبلغ ولاء الشعب لها. وعلى ذلك فكلما كانت الحركة ورجالها نتاجا « شعبيا » شديد الصلة بالعناصر الأصيلة التى يتكون منها السواد الأعظم من أبناء الأمة كان فهم الحركة ورجالها لحقيقة هذه القضايا صادقا أمينا ، وكانت « أيديولوجيتها » مطابقة لمصلحة الشعب متمشية مع شعوره الصادق وضميره الحى ومنفذة لما يدور فى خلده من آمال وما يطفح به فؤاده وعقله وعواطفه من حماس ورغبة فى مؤازرة الحركة والاندماج فيها والتضحية فى سبيلها كأحسن ما تكون تضحيات الأمم الحية فى معركة الحياة الشريفة

والحركة الاجتماعية الناجحة هى التى تؤمن بما تعمل . وتعزيز القول بالعمل لا يكفى إلا إذا توفر للحركة مرونة فكرية طابعها الحكمة لا التزلف . فعليها أن توازن موازنة صادقة لحاسية الشعب — أو بالأحرى أغلبيته العظمى . فإذا لمست الحركة أن جزءا كبيرا من الأمة يؤمن بأن الإصلاح يجب أن يشمل إحياء القيم الدينية ومكافحة الفساد وما أولده من انحلال فى القيم الأخلاقية فجدير بالحركة أن تجعل لهذه الناحية من الإصلاح مكانا راسخا فى « أيديولوجيتها »

وإذا أدركت بأن بين المواطنين طائفة مخلصة واعية نصر فى قرارة النفس على أن التنمية الاقتصادية والعدالة الاقتصادية والاجتماعية يجب أن تنال مكان الصدارة بين أهداف الحركة فمن الخير لإيديولوجية الحركة أن تولى ذلك عناية خاصة

وإذا تحقق للحركة والمسؤولين فيها أن الحاجة ماسة لتعزيز الدفاع العسكرى إلى أقصى حد مستطاع فما عليها إلا أن تلبى هذه الحاجة — فهى لحركة شعبية صلتها وصلة قادتها بالشعب صلة الأغصان بالجذوع كفيلة بأن تضمن حماس الأمة وتضحيتها فى سبيل المناعة العسكرية ، وجعل ذلك مبدأ أساسيا من مبادئ الأيديولوجية الجديدة

وهناك طبعا سيل لا حد له من آراء الناس فى أوجه الإصلاح وأيها أولى بالعناية من سواه

والمهم عند تقرير الأيديولوجية أن توازن الحركة فى مبلغ الحماس الشعبى الصادق لأوجه الإصلاح ومبلغ شعور الشعب وتقديره لأخطار « القضايا » والمشاكل التى تتحدى سلامة الكيان القومى . فليس المطلوب من الحركات الاجتماعية أن تتقيد بمعالجة قضية واحدة . فالعوامل التى توفر للحركة النجاح والاستقرار عديدة ، وكثرتها تتوقف على كثرة الأخطار الناتجة عن هذه القضايا والمشاكل . ولذلك فلا مفر للأيديولوجية أن تتضمن أكبر عدد ممكن من البرامج والأهداف التى تكفل التغلب على هذه الأخطار

والدراسة الاجتماعية للحركات الإصلاحية تثبت صواب الرأى فى اتخاذ قضية أو أكثر من قضايا الأمة كعنوان للأيديولوجية الجديدة ، إلا أن هذه الدراسة تؤكد كذلك أهمية إدراك الشعب للأخطار التى سببت له المحن والمساوئ فى العهد أو العهود التى استبدلتها الحركة الجديدة

فالحركة الشعبية الناجحة تولد عادة فى جو اجتماعى اعتاد السماع لدعوات الإصلاح من دعاة أساءوا فهم المشاكل الرئيسية العميقة التى تواجه الأمة ، ولذلك تفشل هذه الدعوات فى كسب ولاء السواد الأعظم من المواطنين. فولاء السواد الأعظم وإخلاصه فى مؤازرة الحركات الجديدة هو ميزان الاستقرار والنجاح ، وعلى ذلك فإن الخطأ الذى ترتكبه معظم الأحزاب السياسية (وهى تقليد مشوه للحركات الاجتماعية) هو تصورها القضايا القومية على نحو لا يستند إلى فهم أمين لضمير الشعب ، وإنما هو فهم مشوه اقتبسه قادة الحزب من شعورهم الخاص وهو شعور تتضارب فيه المصالح الذاتية — شعور يتزلف فى أغلب الحالات إلى أوساط ليست من صميم الشعب وليست عنوانا على شعوره ويقظته ومصالحه ، أوساط تنتمى إلى هذه الفئات الطفيلية التى تعيش على الشعب لا معه

والشعب — أو بالأحرى الجزء الهام منه — يتحفظ فى إعلان الولاء وبذل التضحية للحركات الناشئة إذا توفرت له عوامل نفسية معينة سجلها علم النفس الاجتماعى فى دراسات لنفسية الجماهير وعقليتها ، وطبيعة الزعامة الصالحة ومقوماتها، وإلى

الأخطار والتجارب التى مرت بها الأمم فى نشاطها الاجتماعى ، كما أشرنا إلى ذلك فى صلب هذا المقال

وبعض هذه العوامل غامض يحمل أكثر من تفسير واحد، والبعض الآخر محدود الصفات واضح المعالم إدراكه سهل ميسور على كل دعنا نستعرض فيما يلى بعض هذه العوامل مادمنا فى حديث الاجتماع وعلمه ولو كان ذلك على حساب أدب المقال فى غير مجلات الاختصاص

ا — يجب أن تكون القضايا التى تولت الحركة معالجتها شديدة الصلة بالمصلحة الشعبية العامة وبالمصلحة الخاصة لأكبر عدد ممكن من المواطنين

ب — للحركة الاجتماعية الناشئة أن تبدأ بمعالجة القضايا التى بها مكان الصدارة فى شعور الناس وبقظتهم العاطفية والفكرية، وحين يقتضى الوضع تفضيل قضية على أخرى فللحركة أن تعالج قضية واحدة معالجة عامة شاملة وتبدأ فى نفس الوقت بمعالجة القضية أو القضايا التى تليها فى الأهمية معالجة جزئية — على ألا يكون لهذا التوزيع هدف غير الموازنة العادلة بين أهمية القضايا فى تفكير الناس وفى مبلغ صلتها بالصالح العام وبمستقبل الحركة وأيديولوجيتها وأثر ذلك كله على الكيان القومى ومصلحته الجوهرية

ج — يؤكد علم الاجتماع[٢] أن استقرار الحركة الاجتماعية الناشئة لا يتوطد إلا إذا كانت أيديولوجيتها حاوية لقيم وأهداف تمس النفعة الشخصية للكثرة — الغالبة — من أفراد الشعب . والنفعة الشخصية شئ والشعور الشعبى المشترك شئ آخر ، وإن كان كلاهما يعزز الآخر . فالأهداف الوطنية مثلا شعور شعبى مشترك، أما العدالة الاقتصادية والمساواة الاجتماعية وصيانة القيم الدينية والأخلاقية فإنها أهداف تخدم النفعة الشخصية لكل فرد من أفراد المجتمع ، أو على الأقل أولئك الذين حرموا منها — وهم كثرة فى معظم المجتمعات الإنسانية

د — حين تختلف أوساط المجتمع فى توكيد أهمية قضية ما على غيرها من القضايا التى يشغل بها الناس وتعالجها الحركة الجديدة فإن الضرورة تقتضى مجهودا صادقا يصدر عن الحركة والمسؤولين فيها ليقرر أولوية القضايا ويسعى جادا مخلصا لإقناع السواد الأعظم من المواطنين بها حرصا على سلامة وحدة الشعور الشعبى وتماسك اليقظة العاطفية والفكرية . وهذا المجهود يفترض حملة توحيد فكرى وعاطفى واسعة النطاق يضمن نجاحها هذه الأيام المواصلات الفكرية الحديثة — الصحف والإذاعة والأفلام وما إليها من وسائل الدعاية والثقافة الشعبية

* * *

هذا رأى علم الاجتماع فى بعض نواحى الحركات الإصلاحية ، وهو رأى وإن كان لا يصح أن يؤخذ على أنه القول الفصل فى تصور الحركة الاجتماعية ونضوج ثمارها فلكل حدث اجتماعى ظروف خاصة وتيارات وعوامل طارئة تتطلب مرونة لا حد لها فى الاجتهاد العلمى — إلا أن الخطوط العامة للاستنتاج العلمى تؤكد فى تواضع مقدرتها على تسليط ضوء نافع على جوهر السلوك الإنسانى

عمر حليق

(٢) فى بحث البرفسور تيودور آبل عن نموذج الحركة السياسية الناجحة فى مجلد ٣٧ من المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع

حول العدد الألفي

أثر الرسالة في الأدب الحديث

للأستاذ محمد سالم الخولي

للرسالة في الأدب العربي الحديث آثار خالدة خلود الأدب والفن .. سهرت على شوارده وأثبتها ، وتتبعت نوافره فجمعتها ، وجلت غوامضه بالبيان الرائع والأسلوب الطيع ، واللغة السليمة والنطق المسلسل

أشرقت على البلاد العربية والرأى الناضج فى مصر يكاد لا يسمع به أديب بالعراق ، والفكرة فى العراق لا يتعالها إلا من بالعراق ، والشعر فى الشام لاتتردد أصداؤه إلا بين جنبات الشام ، وما أن عم نورها جنبات الشرق حتى توحدت الفكرة والرأى والشعر وأصبح لحملة الأقلام رسالة ... رسالة تجمع بينهم وتعرفهم بعضهم إلى بعض ، وتوسع من آفاقهم ، وتردد أصداءهم .. وتسمع كلماتهم ... والحقيقة أن المتأمل فى أعدادها الألف اليوم يستطيع فى يسر عجيب أن يجمع بين يديه خيوط دراسة أدبية رائعة لنهضة الأدب العربى الحديث

فبين أحضان الرسالة نشأت مدارس للأسلوب الرائع النابض الحى، وبين صفحاتها تكونت مدارس للنقد المتعمق المحلل لخفايا النفوس والأساليب، وفوق أغصانها غردت أطيار من الشعراء لكل جماعة منها أهداف معلومة ورسالات محدودة . ولها لون وذوق فنى خاص مع تفاوت بين أفرادها فى طرائق العرض وأساليبه وطرائق تناول الموضوعات الشعرية ، وإلقاء الظلال والألوان على الصور الشعرية

إن دراسة أعداد الرسالة الألف تعتبر بحق دراسة للأدب العربى الحديث، بل لأزهى عصور الأدب العربى عامة

وجدير بمحبى الأدب ودارسى روائعه أن يعملوا الفكر والتأمل فى هذا التراث الخالد العظيم . حتى يقدموا للأجيال القادمة صوراً صادقة للنهضة الأدبية متمثلة فى مدارس أدبية ناثرة أو شاعرة أو ناقدة كالرسالة تمتاز بصفة لازمتها دائماً هى الاحتفال بما تقدم من الآثار الفنية . فهى لم تنشر من النثر إلا ما بلغ الغاية من الكمال الفنى والنضوج الفكرى . . ولم تقدم من الشعر إلا ما ارتفع إلى مراتب الروائع الفنية وحلق فى أجواء تعبق بالشاعرية الملهمة الفذة

والرسالة لم تقدم إلى العالم من الأدباء أو الشعراء إلا من اكتملت لهم الأداة وتم لهم النضوج . . وسمى لهم الفضل . . ودان لهم الخلود أو كتب لهم الخلود على يديها ، وإنك لتلمح بين صفحاتها بين الحين والحين أسماء تشرق حينا ثم تغيب، وأسماء تسطع دائماً وإن هى غابت فإلى عودة..فتحب أن تسأل عن السر فى ذلك الإشراق الفاجئ . وذلك التكرار المتواتر على فترات قد تطول وقد تقصر .. فتجد السر فى برنامج مدرسة الرسالة . . حيث تراها مضطرة إلى الاحتفال بالموضوع الجديد بالنشر والمعروض فى قالب جديد . فهى إذن ترحب به كلما سنحت لها فرصة العثور عليه ، ومن هنا يجىء سر الإشراق الفاجىء لبعض الأسماء ، أما الأسماء المستمرة السطوع فى أفقها فهى إما لأبناء نجباء من أسرتها أو لأسماء استطاعت أن تقدم دائما الطريف الجديد الرائع

وأكبر مظاهر التقدير للرسالة الخالدة فى يوم صدور عددها الألفى .. هى أن نحاول رسم خطوط متزنة لمدارس الرسالة الأدبية مع عرض لأسماء أشياخها الأفاضل وأسماء شبابها الخالد..من كتاب ونقاد وشعراء

فمن أشياخها الأعلام الأفاضل الذين قدمتهم فى مشرق عمرها المديد ولا زالت تقدم بعضهم : الأساتذة الكبار طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وتوفيق الحكيم وعباس العقاد ومحمود البشبيشى وتوحيد السلحدار ومحمود تيمور ونقولا الحداد وأحمد رمزى ومحمد غلاب ومحمود أحمد الغمراوى والشيخ شلتوت والشيخ المدنى والمرحوم الدكتور زكى مبارك وأحمد الزين والزهاوى وطوقان والنشاشيبى والكرملى والمازنى والرافعى

ولكل من هؤلاء الأشياخ الأعلام خصائص مميزة واتجاهات خالدة ، منهم الأدباء الفنانون كطه حسين وتوفيق الحكيم وتيمور

والمازنى وزكى مبارك . وكان الرافعى فرداً فى فنه ، ومنهم الأدباء الرواة الثقات واللغويون الأعلام كالزيات والنشاشيبى والكرملى ومحمود البشبيشى. ويمتاز الزيات بالروعة فى الأسلوب والدقة فى العرض والإحاطة بالأدب، والبشبيشى بسعة الاطلاع والجزالة فى الأسلوب، أما الكرملى والنشاشيبى فكانا يصدران عن طبع لغوى علمى يشوبه الجفاف فى العرض

وفيهم الأدباء الأعلام المختصون بالدراسات الأدبية والاجتماعية كالعقاد وأحمد أمين، ويمتاز العقاد بأفق واسع وأغوار عميقة لا يسبح فيها ولا يصل إليها سواه ، أما الأستاذ الحداد فله اتجاهاته العلمية ، والأستاذ أحمد رمزى اتجاهاته الاجتماعية والدولية . وكان الزهاوى فيلسوفاً شاعراً ولم يكن الشاعر الفيلسوف، وكان الدكتور مبارك الفنان الشاعر ولم يكن الشاعر الفنان ، أما شباب الرسالة فهم بين ابن نشأ فيها ورعاها ورعته وأخذ عن صاحبها العظيم وتأثر به وحده أو به وبغيره من أشياخها.. أو بين أديب آثر الرسالة بآثاره المكتملة فآثرته واحتفلت به وقد يكون تأثر بها من بعد وقد لا يكون

فمن شباب كتابها الأساتذة الأعلام عبد المنعم خلاف وسيد قطب ومحمود الخفيف وعزيز أحمد فهمى وكامل محمود حبيب وفهمى عبد اللطيف وعباس خضر والدكتور محمد يوسف موسى وأنور المعداوى وأحمد أحمد البدوى ومحمد القصاص ومحمد محمود زيتون وراجى الراعى وعلى متولى صلاح ومحمد رجب البيومى وأنور الجندى ومحمود أبو ريه وصلاح الدين المنجد وفوزى الشتوى وسعيد العريان وصلاح المنجد، ومن شباب شعرائها الأساتذة الملهمون على محمود طه ومحمود إسماعيل والزهاوى وإيليا أبو ماضى وسيد قطب وحسين البشبيشى وكامل الصيرفى وأنور العطار ومحمود السيد شعبان وعبد الرحمن الخميسى وإبراهيم نجا وأحمد العجمى ومحمود رجب البيومى والصافى النجفى وفدوى طوقان وعبد القادر رشيد الناصرى

ومن هؤلاء الشعراء من جمع بين الأسلوب الكتابى الرائع والقدرة الشعرية السامية فكان منهم من اشتهر بنثره النابض بالحياة وفكره المتعمق المساير للمجتمع والأدب كالأساتذة الأفاضل سيد قطب الكاتب المسلم الاجتماعى الخطير والناقد البصير وعبد الرحمن الخميسى الصحفى المعروف والعجمى وحسين البشبيشى والناصرى، وإنك لتلمح أثر العقاد فى سيد قطب واضحاً ، وأثر الرافعى فى سعيد العريان إلى حد تقيده طاقة العريان الفنية، وأثر الزيات فى أنور المعداوى وحسين البشبيشى وصلاح المنجد والناصرى.. وبعد فهذه خطوط رئيسية لا تصل إلى حد الدراسة . نأمل أن تجد من أدباء العروبة من يبادر إلى تناولها بالتفصيل. فللرسالة مكانتها الخالدة فى الأدب والأدباء ؟

محمد سالم الخولى
مستشار سابق

اذكروا الشهداء

للأستاذ محمد محمود زيتون

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
قرآن كريم

اليوم .. بعد أن انطلقت أسود العرين من إسارها ، لخوض أروع معركة للتطهير والتحرير ، فى العصر الحديث ، يحق لنا أن نذكر شهداء فلسطين من قواد وضباط وجنود ، نعموا بجوار ربهم ، وخلفوا وراءهم أرامل ويتامى ، لهم عند الله أجر الصابرين

استشهد هؤلاء فى نضال عنيف بين كتائب الحق ، وشراذم الباطل ، بعد أن ائتمرت على قضية فلسطين دعاة الميكيافيلية ، وحماة الصهيونية ، وتمسكت الذئاب المسعورة حتى تمكنت ، وفى غفلة من الزمن ، قامت لهم « دولة » ، كان يوم ميلادها ، نذيرا بحلقة جديدة من الاستعماز الجماعى ، مما أصاب الضمير الإسلامى ، بالحسرة والألم

وشهداؤنا الأبرار ، لم تذهب دماؤهم من جراء مغامرة طاغية ، ولا عدوان غاشم ، وإنما هم الذين حملوا أكفانهم على رءوسهم ، وجادوا بأرواحهم فى سبيل الله ، لا عن حزبية ولا عصبية ، ولا دفاعا عن أموال وضياع ، ولم تكن محارم الله مطيتهم إلى الهدف الذى تسابقوا إليه . وحسبهم أن باعوا الدار وأهلها ، وخفوا لنجدة الجار المهضوم ، والحرم المنهوب ، فأنعم بها من غاية ، وأكرم بها من سبيل

كانت الشهادة — وهى إحدى الحسنيين — رزقا ، يتوسلون إلى بارئ النسم أن يخصهم به ، ورحم الله عمرو بن الجموح إذ حمل سلاحه ، وأخذ يتكفأ فى طريقه — وهو أعرج — ومن ورائه بنوه الأربعة كالأسود يجرون ليصدوه ، ولكنه يتوجه إلى القبلة ، ويضرع إلى الله فى لهفة واشتياق « اللهم ارزقنى الشهادة ، ولا تردنى خائبا إلى أهلى » وقاتل حتى استشهد ، فرآه رسول الله ، وهو يطأ بعرجته فى الجنة

فلنذكر هؤلاء الذين باتت أرواحهم فى حواصل طيور خضر ، يسرحون فى رياض الجنة ، ولنتذاكر ما يوجبه علينا دين الجهاد نحوهم ونحو أهليهم ومواطنيهم أجمعين ، يدفعنا إلى ذلك ، قول نبى المجاهدين عليه الصلوات « من جهز غازيا أو خلفه فى أهله بخير فقد غزا » .. فمن الذى ينكص على عقبيه ، وقد بلغته دعوة إلى غزوة .. نصيبه فيها عمل صالح يرفعه ، ولا يصيبه منها ضربة أو طعنة !

كان رسول الله أول من عنى بتكريم الشهداء ، فقد كان — عقب المشاهد — يجمعهم فى مصارعهم ، ويترحم عليهم ، ويستعبر ، ثم يأمر بتكفينهم فى أثوابهم التى استشهدوا فيها ، ونزع ما عليهم من جلود وسلاح ، ودفنهم من غير غسل ، فقد استشهد حنظلة بن عبد الله بن أبى عامر الفاسق ، وعليه جنابة ، فأطلع الله تعالى نبيه على أمره ، وسماه « غسيل الملائكة »

وكان يقدم للجنازة أكثرهم جمعا للقرآن . ويأمر بدفن كل رجلين أو ثلاثة فى قبر واحد لما يكون بينهم من صفاء أو قرابة فى الدنيا ، وكان يشرف على القتلى ويقول : « أنا شهيد على هؤلاء . وما من جرح يجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » ، وكان يواسى ذويهم ، ويوصى بهم خيرا ، ويتعهدهم بحنانه وبره ، ويدعو الله لهم بالخلافة عليهم

كان النبى على فرسه وسعد بن معاذ ممسك بلجامها ، فأقبلت أم سعد تعدو نحوه . فقال سعد : يارسول الله ، أمى .. فقال النبى : مرحبا بها . فلما وقف لها ، دنت منه ، وأخذت تتأمله ، فعزاها بابنها عمرو ، فقالت : أماإذ رأيتك سالما ، فقد اشتريت المصيبة . فقال لها : يا أم سعد ، أبشرى ، وبشرى أهليهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة جميعا ، وقد تشفعوا فى أهلهم جميعا . قالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبكى عليهم بعد هذا ؟ يا رسول الله ، ادع لمن خلفوا . فقال : « اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا »

وسار الخليفة الراشد أبو بكر ، على هدى خليله المصطفى عليه السلام ، فقد دخلت عليه فتاة ، فألقى لها رداءه لتجلس عليه إكراما لها ، ولذكرى أبيها الشهيد الذى قال عنه رسول الله

« رحمه الله ، نصح لله ولرسوله حيا وميتا » [(١)] وإذ ذاك قدم عمر ، فما إن رأى من أبي بكر هذا التكريم لتلك الفتاة ، حتى عجب من أمرها ، وسأله عنها فأجابه : هذه ابنة من هو خير مني ومنك ، رجل تبوأ مقعده من الجنة ، وبقيت أنا وأنت ، هذه ابنة سعد بن الربيع

وعقب « أحد » احتمل أناس قتلاهم ليدفنوهم بالمدينة ، فجاء منادى رسول الله يعلن في الناس « ردوا القتلى إلى مضاجعهم » ولم يبق إلا قتيل واحد ، ردوه ودفنوه حيث استشهد

على أن رفات الشهداء الأبرار لا تبلى كسائر الأجساد ، فقد روى أن معاوية بن أبي سفيان أمر بحفر عين جارية وسط مقبرة شهداء أحد ، واستصرخ الناس إلى قتلاهم ، وأمر بنقل رفاتهم ، فأخرجوهم رطابا تتثنى أطرافهم ، وذلك على رأس أربعين سنة من دفنهم ، ومع ذلك أصابت المسحاة قدم حمزة سيد الشهداء ، فانبثق الدم ، وفاح المسك ، وكأنما هو صريع ساعته ، مع أن أرض المدينة سبخة ، قيل يتغير الميت في قبره من أول ليلة ، ولكن تأبى الأرض الطيبة — بقدرة الله — أن تأكل لحوم شهداء المعركة ، لأنهم مع النبيين والصديقين والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا

ويجب دفن الشهيد فور مصرعه والصلاة عليه ، فقد رجعت هند بنت حرام بعد أحد تسوق بعيرا يحمل ابنها خلاد بن عمرو ابن الجموح ، وأخاها عبد الله بن عمرو ، وزوجها عمرو بن الجموح ، وصار الجمل يبرك بهم كلما وجهته إلى المدينة ، فإذا ضربت في وجهه إلى أحد نزع وأسرع ، فسألت النبي في ذلك فقال : « إن الجمل مأمور ، فقبرهم بأحد ، يا هند ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن »

وفي تاريخ الإسلام أروع الأمثلة لرباطة جأش المرأة المسلمة إذا نعى إليها زوجها أو ابنها أو أخوها أو أبوها ، فهذه حمنة بنت جحش تلقى النبي عند منصرفه من « أحد » إلى المدينة ، فينعى إليها خالها حمزة فتحتسب ، وأخاها عبد الله بن جحش فتحتسب ، ثم زوجها مصعب بن عمير فتصيح مولولة وتقول : واحزناه . فينظر النبي إلى من حوله ، ويقول « إن زوج المرأة لبمكان ما هو لأحد » ثم يسألها : لم قلت هذا ؟ فتجيب « تذكرت يتم بنيه ، فراعني . فدعا لها أن يحسن الله الخلف على أولادها

وأثبت منها عند الجزع ، امرأة من بني دينار استشهد زوجها وأخوها وابنها وأبوها ، فلما نعوا إليها احتسبتهم عند الله . واعتصمت بالصبر ، وقالت ، كيف رسول الله ؟ فقيل لها : هو بحمد الله كما تحبين . فتقول أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، وتعلقت بثوبه عليه السلام وهي تقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا أبالي إذ سلمت من عطب

وكانت الخنساء مضرب المثل في الإيمان عند النازلة ، استشهد بنوها الأربعة في القادسية . بعد أن بلغت الثمانين من عمرها . ولما أقبل البشير بعد المعركة ، جاءت تسأله عن حال الإسلام والمسلمين ، فقيل لها : ألا تسألين عن أبنائك الأربعة ؟ فقالت : هم بعد ذلك ، فلما طمأنوها على سلامة جيش الإسلام ، ذكروا لها أن بنيها قد استشهدوا جميعا فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في الإسلام وأسأله تعالى أن يجمعني بهم في مستقر رحمته

والإسلام بهذا لا يتناقض مع طبيعة البشر ، ولا يدعى القضاء على غريزة من الغرائز التي هي القوى الدافعة للسلوك ، أو انفعال من الانفعالات التي هي مظاهر الوجدان . فقد ثبت أن هذا الدين المتين يتمشى مع الطبيعة البشرية إلى الحد الذي يرتفع بها إلى أفق أعلى ، وخلق أسمى

وآية ذلك ، أن نسوة الأنصار جئن إلى النبي يذكرن عمه حمزة يبكينه ويبكين موتاهن ، فصرفهم النبي في غير عنف وهو يقول : ارجعن رحمكن الله . لقد واسيتن معي ، رحم الله الأنصار . وبلغ الحزن مبلغا لم يقدر على مغالبته رجل أو امرأة ، فجاء وفد من الرجال يسألون رسول الله : « يا رسول الله ، بلغنا أنك نهيت عن النوح ، وإنما هو شيء نندب به موتانا ، ونجد فيه بعض

---

(١) بعد معركة أحد ، بعث النبي أحد الأنصار لينظر إن كان سعد ابن الربيع حيا أو ميتا ، فجاءه ، فوجده جريحا وبه رمق ، فقال سعد : أنا في الأموات ، قد طعنت اثنتي عشرة طعنة ، وإني قد أنفذت مقاتلي ، فأبلغ رسول الله عني السلام ، وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته . وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ، الله ، الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة ، فو الله ما لكم عند الله عذر

الراحة ، فائذن لنا فيه ، فقال : إن فعلن ، فلا يخمشن ولا يلطمن ، ولا يحلقن شعرا ، ولا يشققن جيبا

وتكريم الشهداء لا يكون بتلك الأساليب العقيمة المرتجلة ، التى يجترها السطحيون ، فلا يسمو بهم الحس البليد إلى أكثر من اقتراح تسمية شارع أو ميدان أو محطة باسم الشهداء ، أو اقتراح بإقامة نصب أو تمثال أو لوحة تذكارية أو قبر للمجهول فى العاصمة والمدن الرئيسية

وما أبعد هذا كله عن سبيل التكريم الخالص لوجه الله ولن نصل بهذه الترهات إلى الهدف النبيل الذى من أجله أرخص الشهداء دماءهم الزكية الغالية

كما أن نقل رفات الشهداء غير جائز اعتمادا على ما أمر به رسول الله عقب غزاة أحد من رد القتلى إلى مضاجعهم ، ولذا يجب إعادة النظر فى موضوع الخمسة والعشرين ألف من الجنيهات التى اعتمدتها وزارة الوفد الأخيرة لبناء المقابر بجهة الغفير ونقل رفات الضباط من شهداء فلسطين إليها

وهذا تفكير عقيم ضحل ، إن دل على شىء فإنما يدل على جهل مطبق بحقائق الدين . كما فيه امتهان لكرامة الشهداء الجنود ، وإثارة الأحزان الدفينة فى مشاعر ذويهم الصابرة [2] وتملق رخيص للعواطف النبيلة

وأول ما يجب البدء به لتخليد ذكرى الشهداء ، وتمجيد بطولتهم وتكريم ذويهم . هو إحياء سنة عمر بن الخطاب ، وذلك بإنشاء « ديوان المجاهدين » الذى وضع له اللوائح . ورتب الاختصاصات ، وفرض مستحقات الجند أحياء ولذويهم من بعدهم ، كل حسب بلائه وسبقه فى الإسلام

ويجب أن توضع الملفات لأسر الشهداء ، لكى يتسنى للتاريخ الصحيح متابعة مجريات حياتهم ، والتنويه بمظاهر الإعجاب فى سلوكهم ، والإشادة بآثار شهدائهم ، مع منحهم مزايا اجتماعية تبقى رمزا إلى ما قدموا للوطن من أغلى التضحيات،

أما أبناء الشهداء وبناتهم ، فأولئك ودائع عزيزة ، ائتمنت عليها الأمة : جيشا وشعبا وحكومة . فلتكن نشأتهم على خير وجه مسنون من كرامة العيش ، وحسن التربية

فهذا الفتى أسامة بن زيد ؛ عقد النبى له لواء على جيش كثيف لغزو بنى غسان قاتلى أبيه ، وهذه الربيع بنت معوذ قاتل فرعون العرب أبى جهل : نراها فى عهد عمر تشترى العطر من أسماء بنت مخرمة أم أبى جهل وذات يوم وزنت لها ولأصحابها على الأعطية فقالت لهن أسماء اكتبن لى عليكن حق . فلما أملت الربيع اسمها على الكاتب استشاطت أسماء غيظا وبادركت : وإنك لابنة قاتل سيده ، ؟ قالت الربيع : لا . ولكن ابنة قاتل عبده فقالت أم أبى جهل : والله لا أبيعك شيئا أبدا . وقالت الربيع : وأنا والله لا أشترى منك شيئا أبدا : فوالله ماهو بطيب ولا عرف . ولما عادت إلى بيتها قالت لابنها والله يابنى ماشممت عطرا قط كان أطيب منه ، ولكن يابنى غضبت

هذا الترفع والإباء وليد روح عالية — بلا شك — دفعت بينت المجاهد إلى مقاطعة البضاعة الكافرة . لمجرد غضبة المسلمة الغيرى على سيادتها وعزتها

وخير هدية من شهداء الوطن نقدمها للجيل الناهض ، سفر كبير . لا يخلو منه بيت ، ولا يدع شاذة أو فاذة من تاريخ الشهداء الأبرار إلا انطوى عليها . مع ذكر تاريخ حياتهم ، ومسقط رأسهم ، ومحامد سيرتهم وبطولتهم ، والمعارك التى أسهموا فيها . إلى غير ذلك مما يقرب إلى النفوس مشاهد الجهاد فى عصر تميعت فيه الرجولة ، ورخصت فيه القراءة وطفحت الصحف والمجلات والكتب بقصص الغرام و «أصول الحب» و « نساء فى حياتى »

وحق على وزارة المعارف أن تواكب هذه النهضة المباركة حتى تسير حملة التنوير وكتيبة التطهير جنبا إلى جنب . وتنهض بواجبها فى بث الروح الجهادية قولا وعملا . فتختار للناشئة نخبة مختارة من أناشيد الحماسة ، وخطب القادة ، وأوامر الأمراء لجيوشهم ، وعرض الأفلام والقصص التمثيلية التهذيبية ، وتسهيل الزيارات لمتاحف الحضارة ، وسرد الوقائع التاريخية بكل دقة وأمانة ، من غير تمليق أو تزويق . هذا مع طبع المعاهد العلمية

(٢) تقدمت إلى « الأهرام » بمقال فى هذا الموضوع عقب صدور القرار مباشرة ، وأبلغنى الأستاذ الشيخ العسكرى أن الأستاذ أحمد الصاوى محمد متفق معى فى الرأى ، ولكن من وجهة نظر أخرى؛ وأنه أيضا أعد لذلك مقالا ، فلم ينشر مقاله ولا مقالى .. خشية الفضيحة طبعا

بمناسبة العدد الألفى للرسالة

الرسالة فى حياة الأدب

للأستاذ حامد حفنى داود

فى أوائل القرن التاسع عشر تخلصت مصر من نير العصرين المملوكى والتركى، وانسلخت من حياة قاسية انحط فيها الأدب إلى الدرك الأسفل ، واستقبلت عهدا جديدا فى تاريخها أسس دعائمه محمد على الكبير

وزخر العهد الجديد بالإصلاحات الكثيرة التى تناولت مرافق الحياة فى مصر ، وأخذ ركب الحياة يمضى فى ثوبه الجديد . ولكن الحياة الأدبية فى ذلك الوقت لم تنل حظا كبيرا . فعلى الرغم من الإصلاحات العلمية وعلى الرغم من التعليم المدنى الذى بعثه محمد على فى فجر النهضة المصرية فإن الأدب المصرى كان يعانى لونا من التفكك وضربا من الجمود

وقد شاهد العهد الجديد تغييرا كاملا فى الحياتين السياسية والاجتماعية، ولكن الشجرة الأدبية لم تؤت أكلها أو ترسل ثمارها بالسرعة التى كنا ننتظرها، لأن سياسة التعليم فى ذلك الوقت وبالتالى حياة الأدب لم تكن جميعها منبعثة من منبعها الطبيعى، وإنما كانت إصلاحات عامة يصدرها الحكام وحدهم، ويحبس لها العلماء والأدباء ليسيروا بها سيرا مدرسيا بحتا لا يتجاوز جدران المدرسة أو يعدو قوانين التعليم العام . أما الأدباء المطبوعون والشعراء الموهوبون الذين يستطيعون أن يعبروا عن ميولهم وميول الشعب ويرسمون حياتهم وحياة الشعب؟ والذين كان فى مكنتهم أن يضعوا لبنة متينة تمثل مرحلة من مراحل الحياة الأدبية فى ذلك الوقت — فلم يفتح الباب أمامهم ولم يعطوا الحرية الكافية ليصوروا الأدب المصرى الرفيع كما ينبغى

* * *

وما كاد عقرب الزمن يطوى وراءه نصف قرن بعد محمد على حتى اشتد الفارق بين الأدب الشعبى والأدب المدرسى . ثم أخذ الزمن يمضى وأخذت الأحداث تتقلب ، وعاشت المدرسة فى بيئة وعاش المجتمع فى بيئة أخرى وازدادت الألسنة تبلبلا حين جمدت الثقافات الأدبية فى موطن واحد هو المدرسة ، استعصت على الحياة وامتنعت عن التفاعل بها

وتقدم الزمن ووقعت « الثورة العرابية » وتدخلت أصابع الأجنبى لكبحها وقتلها . وشاء الله لها ألا تموت وتقبر فى مهدها، ولكن جذورها النفسية وآثارها الأدبية لم تمت ، فقد نبهت العقول الراكدة والنفوس النائمة إلى الواجب الوطنى ، فى الوقت الذى شعرت الأمة بضرورة التقريب بين الطبقات ، وحثت على محو الفوارق الاجتماعية التى لا يقرها الإسلام ولا تعترف بها المبادئ الإنسانية .

وقد كان لهذا الشعور العميق الذى شاع بين طبقات الشعب وعم أرجاء البلاد بعض الأثر فى حياة الأدب . وكثيرا ما تكون الأحداث السياسية والثورات الوطنية مادة خصبة للبناء الأدبى ووقودا صالحا يشعل جذوة الحياة الأدبية بعد خمودها الطويل . وقد ساعد على ذلك أن لاقت الثورة الأولى نفوسا صافية وقلوبا واعية وأرواحا أبية وثابة تتأثر بما حولها وتعبر عن آلام الشعب وآماله . ثم انعكس شعاع هذه الثورة فى الحياة الأدبية : انعكس فى الخطابة فكان عبد الله النديم وأترابه ، وغزا دولة الشعر فكان البارودى وكانت مدرسته وهى أولى مدارس الشعر

بطابع الجهاد الصحيح

كان زين العابدين بن الحسين يقول « كنا نعلم مغازى رسول الله كما نعلم السور من القرآن » ، وكان إسماعيل بن محمد ابن سعد بن أبى وقاص يقول «كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول يابنى إنها شرف آبائكم . فلا تضيعوا ذكراها »

وفى «جهاد النبى » .. حقا . أغلى ما يتزود به الجيل المؤمن ليتخذ من حقائق التاريخ مقياسا متينا لكل دعوة وغزوة ، تنحل إزاءهما حرب البطش والعدوان فى القديم والوسيط والحديث على السواء.. وبالتربية الجهادية تسمو النفوس ، وتعلو الرءوس ، وتنتظم الخطى ، وتنسق الخطط ، ويستبشر الشهداء فى مضاجعهم بالذين لم يلحقوا بهم .. فنظفر بنصر من الله وفتح قريب

محمد محمود زيتونه

المعترف بها فى عصر النهضة ، ونال الحياة الفكرية مانال الخطابة والشعر من تجديد، وظهر ذلك واضحا فى شخصية الشيخ محمد عبده وأستاذه الشريف جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق ومجدد القرن الرابع عشر

* * *

ولم يكد يمضى الزمن بالثورة العرابية ولم تكد تأخذ مكانها فى سجل التاريخ حتى تمخضت عن مولود هو « ثورة ١٩١٩ » وقد أعادت هذه الثورة إلى الحياة المصرية سالف رونقها وأجرت فى شرايينها دماء الثورة الأولى والدعوة إلى المثل . وهكذا تقدمت الحياة المصرية خطوة إلى الأمام بعد الثورة الثانية . وارتقى التعليم المدنى تبعا لذلك فغادر ميدان المدرسة إلى ميدان أرق وأجل هو الجامعة المصرية القديمة . وقد كان الغرض الأول من إنشائها تثبيت مكانة مصر السياسية والاجتماعية والأدبية

ومنذ ربع قرن تطورت الجامعة المصرية القديمة إلى وضعها الجديد الذى بدأت خطوطه الأولى فى جامعة فؤاد الأول . ولكن الحياة الأدبية الرفيعة التى كانت تدب فى مصر فى ذلك الوقت ظلت مختنقة بين جدران الجامعة. أما المجتمع الخارجى الذى كان يتمثل فى النوادى والمجالس الأدبية — فلم يكن مقياسا صحيحا يمثل ما اعتور الأدب من تطور فى ذلك الوقت ، وإن كان فى ذاته يعتبر امتدادا طبيعيا لنوع من الحياة الأدبية الشعبية فى تاريخ مصر . ولعلك تعجب أن يضطرب هذا التطور بين الجامعة والمجتمع وأن تختلف البيئتان فى رسم هذا الاتجاه وتحديد ذلك النما !!

كان ذلك منذ ربع قرن حين كانت الجامعة وكان الجامعيون يعيشون بين جدران الجامعة وبدرسون الأدب للجامعة ولأنفسهم قبل أن يدرسوه لخدمة المجتمع وأهله وأوقبل أن يتحملوا عبء هذه الرسالة ويكلفوا أنفسهم مشقة عرضها على المجتمع فى صورتها الجديدة . وهى الصورة التى كانت تساير الزمن وتساير الحياة الجديدة الناهضة فى العالم كله

أعنى : كانت هناك حلقة مفقودة بين « الأدب الرفيع » فى الجامعة و « الأدب الشعبى » فى المجتمع . واستمرت هذه الفجوة السحيقة والهوة الضخمة بين الأدبين ردحا من الزمن عانى خلالها الأدب المصرى لونا من التفكك وضربا من الجمود الذى ذكرناه

ويوم تفقد الحلقة بين الأدب الرفيع وأدب الشعب تقع الطامة الكبرى على المجتمع وعلى القومية وعلى الدين وتصبح الحياة ضربا من الترهات والتفكك والحواجز السخيفة التى لا تحتمل ، وتصير الأمة أشبه بأمتين متباينتين متنافرتين فى أمة واحدة

وقد كان من رحمة الله على مصر أن هذه الفترة لم تطل حين قيض لها بالأمس جماعة من الأدباء حملوا لواء الحياة الأدبية . وتقدم هؤلاء صفوف الأدب وأخذوا يقربون بين الأدب الرفيع وأدب الشعب ويرسمون من التاليين مثالا واحدا صادقا يصور التطور الصحيح ويتجانس مع الزمان والمكان

وقد كان الأستاذ الزيات فى مقدمة هؤلاء النفر الذين قربوا الخطى ووحدوا الصفوف ووسعوا الميدان الأدبى وأفسحوا المجال الصحفى للمطبوعين المقبورين والموهوبين المنسيين . كما كان فى رسالته عون الشباب المتوثب المكافح المتاضل العامل على رفع القواعد من المدرسة الأدبية المصرية . وهو من هؤلاء النفر الذين يقدرون الشئ لذاته . فليس أكرم الأدباء فى نظره أشهرهم ولا أسنهم ولا أغناهم ولا أعظمهم جاها وشأنا ، وليس أتفههم عنده أخملهم ولا أصغرهم ولا أفقرهم ولا أحقرهم مكانة ورتبة . إنما أكرمهم عنده أدبهم وأعلمهم . وهكذا لم يشأ الأستاذ الزيات أن يتخذ من المقاييس اللا إرادية مقياسا يقيس به الأدباء والعلماء . لقد أبى الأستاذ فى رسالته إلا أن يكون الناقد الحصيف الذى يحسن الاختيار ويصل إلى الأعماق فى النقد ، ذلك لأنه يأبى إلا أن يجعل من الإرادة والإرادة وحدها مقياسه النزيه . أما هذه المقاييس التى تقوم على صفات عرضية لاحظ للانسان فيها ولا قدرة له على توجيهها فهى مقاييس زائفة تافهة فى نظره لأنها لا تمثل الحقيقة المجردة ولا تستقيم مع النقد النزيه ، ويماثل ذلك قوله تعالى فى محكم كتابه « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فالتقوى وأمثالها جانب إرادى فى حياة الإنسان . ولذلك صح أن تعتبر مقياساً فى التفاضل الأخروى .

وفى ضوء هذا النهج السليم قرب الزيات بين الحياتين ووحد بين الأدبين حين جعل من الرسالة منبراً عاما يعتليه الأدباء لذواتهم وشخصياتهم لا لمناصبهم ومراتبهم ، يعتلونه على اختلاف مشاربهم وأهوائهم وميولهم ونزعاتهم يعرضون ما لديهم من بضاعة فى

الأدب والعلم والفن . ثم يطرحون ذلك كله أمام القراء الذين أقبلوا على الرسالة يتدافعون ويتزاحمون حين أدهشهم جلالها وأعجبهم اتساع صدرها وتمثيلها لجوانب الحياة الأدبية كلها . والقراء هم الحكومة النزيهة بين الرسالة وكتابها . فهم وحدهم الذين يستطيعون بإخلاص أن يقولوا للمصيب أصبت وللمخطئ أخطأت . ثم هم يسجلون ذلك فى بريدهم الأدبى . وهم وحدهم يستطيعون أن يعلنوا ويثبتوا البقاء للأصلح « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

وهكذا ظلت « الرسالة والرواية » عشرين عاما منذ خرجت إلى الناس تحمل عددها الأول وهى تؤدى فى صدق وأمانة رسالة الحرية الكاملة فى الأدب العربى المصرى الحديث ولا تزال تؤدى هذه الرسالة إلى اليوم وستؤديها ما شاء الله لها أن تبقى . وهى فى ذلك كله تعرض على الملأ الكتاب الأحرار المخلصين للحقائق المجردة ، وترسم أمام الناس صورا صادقة لتطور المقالة الأدبية والشعر الحديث والقصة الحديثة . وهى إلى جانب هذا وذاك تعتبر سجلا لطيفا يصور التاريخ الأدبى المصرى وما يعتريه من نماء وتطور أسبوعا فأسبوعا . ولولا عنصر الصدق الذى امتازت به فى أداء رسالة الأدب لعصفت بها يد الزمان ولحطمتها معاطب الحدثان .

نعم إنها ظلت تناضل مع الزمن وتصور الحياة الأدبية المصرية فى غير تكلف ولا تعسف . كما استطاعت بفضل عناصر : الصدق والدقة والإحاطة أن تصبح مرآة عامة تنعكس عليها آداب مصر والعراق وآداب الأقطار الشقيقة ، وأن تستجيب لذلك كله لما وجدت من القراء فى الأقطار الشقيقة من يمهد لها الطريق ويعينها على أداء رسالة العربية وآدابها . فالرسالة — فى نظر المنهج العلمى الحديث — هى الأدب الحى المعاصر .. والأدب الحى المعاصر هو الرسالة :

* * *

واليوم شاءت الأقدار أن تحتفل الرسالة بعددها الألفى ، وأن تختم به عهدا قديما فى حياة مصر ، وأن تفتتح به عهدا جديدا حبيبا إلى النفوس ، هو عهد الحرية والفضيلة ، عهد العدالة التى حطمت صخرة الطغيان وخلصت مصر من ربقة الظلم والإثم والبهتان . ولعل من أجل الصدف وأحلاها فى حياة الأقدار أن تفتتح الرسالة الألف الثانية من أعدادها فى مفتتح هذا العهد الجديد . ذلك العهد الذى لا تزال الأعناق تشرئب إليه احتراما وتعظيما وتحملق العيون فيه إكبارا وإجلالا وتكريما ، وقد خشعت له أصوات المردة وارتفعت فيه صيحات الحق ، بعد أن ظل الناس زمنا يجأرون بالشكوى فلا يلتفت إليهم ويهيبون بالإصلاح فتداس حقوقهم وتحطم آمالهم

ما أجمل أن تفتتح الرسالة ألفها الثانى فى ذلك العهد الجديد وما أحراها أن تسهم فيه بنصيبها فى الإصلاح والتطهير والتجديد ، وأن تكتب عن ذلك كله وقد حمل صاحبها لواء الكتابة الإنشائية عشرين عاما كاملة . فما كان الأدب الحر فى أى عصر إلا سلاحا ماضيا يدافع عن الأبطال المجاهدين وسيفا مصلتا فوق رقاب الطغاة المتمردين . ألا إن حاجة الأمم إلى الكتاب وعذبات الأقلام ليس بأقل من حاجتها إلى القادة والقواد العظام .

حامد حفنى داود

يوم ٢٦ يوليـــــو

بمناسبة مرور شهر عليه

للآنسة نعمات أحمد فؤاد

ودنت ساعة الخلاص وكانت مصر بشعورها تحسها ولكن قلبها كان يهتز . كان يخفق فرحا بقرب إعلان مولد الفجر الجديد ، وكان يضطرب إشفاقا خشية أن يكون أسرف فى التفاؤل والأحلام . . وعاشت مصر أربعة أيام تترقب وتتكهن القدر وتتطلع إلى السماء ، تدعوها فى صوت تختلج أن تسند وقفتها فى وجه الظلم فلا ترتكس ، وأن تبارك هبتها فى وجه الطغيان فلا تنتكس ، وأن تصل حياتها الجديدة بعد البعث فلا تموت.. وكان اليوم الرابع أطول يوم لأن مصر عاشته لحظة لحظة ، وكان أقصر يوم لأن مصر من هول ما عانت قبله ، وعظم ما نالت فيه ، بدا لها كالحلم السعيد الموشى ، قصير الأمد بعيد التصديق

لقد صبرت حتى شق صبرها ، واحتملت حتى ضاق ذرعها ، وكابدت حتى وهى جلدها ، وتجلدت حتى رماها الجاهلون بطبيعتها ، الباخسون لمعدنها .. بالبلادة ، واتهموها بالغفلة ، ووصفوها بالجمود الذليل ، ولكنها كانت تعرف أين تضرب ضربتها ومتى ، كانت تدبر لها بحكمة السنين ، ثم نفذتها بعزم الفراعين الجبابرة ، ومضت إلى غايتها فى استبسال المستميت . ثم استمدت ربها العون فأجاب ، وفوقت سهمها فأصاب ، واستلهمت تاريخها فتبدد من جوها اليأس ، وأشرق فى أفقها الأمل ، وجاشت فى صدرها العزة ، وسرى فى كيانها الشعور بالقوة والكرامة

فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ قالت مصر (لا) مدوية كالرعد ، نافذة كحكم القدر . وفى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ أصدرت مصر أمرها فطأطأ الطغيان رأسه ، وأعلنت مصر كلمتها تخفض الاستبداد سوته ، وفى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ فتحت مصر بابها لخروج الظلم إلى غير رجعة . . ودهش العالم ، وابتسم القدر ، وسجل التاريخ ، وهتفت الوطنية

فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ خرج الظلم وانكمش أعوانه متضائلين بعد أن عاثوا الفساد وأشاعوا الفوضى ، وأرهقونا بالبؤس ، وحرمونا من الخير ، وأذلونا بالاضطهاد ، وقتلونا بالعنت والكبت ، واعتصروا دماءنا ليريقوها فى كؤوسهم خمرا ، وما حسبوا أن الله لهم بالمرصاد وأن وراء الخمر أمرا

فى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ طردت مصر الظلم واكتفت بهذا فلم تنكل به كما نكل بفلذات أكبادها ، لم تودع فى صدره الأثيم الرصاص الذى أودعه صدور بنيها فى فلسطين ليزداد ثراء ، لقد قبض ثمن أرواحهم حين ابتاع لهم الأسلحة الفاسدة ليضاعف خزائنه .. كانت مصر جبارة فى غضبتها ، ولكنها كانت كريمة فى عفوها مع القدرة ، نبيلة فى صفحها مع غصة المرارة من الدم المسفوح .. إن وطنى صانع المعجزات ، إن التاريخ القديم والحديث ليس فيه صفحة واحدة لشعب عفا عن طاغية استبد به واستهتر بكل القيم كما عفا شعب مصر

لقد بكى قلبى مع الكثيرين من قومى عندما أعلن البشير خلاص مصر من ربقة البغى والطغيان ، ولكن دموعنا هذه المرة طفرت من الفرح بالنصر المبين، وطالما سكبناها فى مصارع ضحاياها فما تحدرت من مآقينا حتى اختلطت فى بحر الدموع والعرق بلوعات الثكالى وزفرات اليتامى ، وأنين المجهودين والحيارى ، ومن تقطعت أنفاسهم فى منتصف الطريق

اشتدى أزمة تنفرجى

نعم لولا تفاقم الخطب لما نفد الصبر ، ولولا اشتداد الكرب لما انفجر الصدر ، ولولا توالى لذعات الألم لما فاضت الكأس

لقد أكرهنا على أن نقدم ما نزرع ليتخموا ونجوع ، واغتصبوا الضرائب التى ندفعها باسم مخصصات ومرتبات يكدسونها أكواما من النضار عاما بعد عام دون أن تنقص لأننا مكلفون مع هذا أن نتحمل تكاليف طعامهم ولباسهم ومركباتهم ونزهاتهم وأسفارهم وولائمهم وزينات أفراحهم ، حتى إذا ضاقوا ذرعا بالمال كما نضيق ذرعا بالعدم بعثروه فى سفاهة على الموائد الخضراء وفى الليالى الحمراء ، حتى إذا طلع النهار اتخذوا سمت الصالحين فغشوا المساجد ، وأداروا حبات المسبحة . وبلغت السخرية مداها حين زعموا .. وياهول ما زعموا . . زعموا اتصال نسبهم بنبى المسلمين !

ويرى الشعب هذا ويسمع به وينتظر ويتحرق ولكن البناة الذين أغراهم صبره وغرهم حلمه ، أضافوا إلى صفحاتهم السود صحائف من النيلة وانتهاك الأعراض والعبث بدستور البلاد وقوانينها . فخرج الاحتمال عن طاقة الإباء ، وكبر الجرم حتى ضج به الحلم ، وطاح معه الصبر فكان الانفجار

لقد نسينا ما فدحنا به إسماعيل من ديون ، وما نكبنا به توفيق من ويلات الاستعمار ، واستقبلنا منذ ستة عشر عاما الطاغية الطريد كما يستقبل الميامين الأبطال ، وأملنا فيه خيرا وأحببناه حبا دنا من العبادة وحففناه بقلوبنا ، ولكن تركيته غلبت عليه ، فسامنا الخسف كأسلاف له من قبل ، وبغى واستكبر ومادرى أن الله أكبر وأن على الباغي تدور الدوائر

إن يوم ٢٦ يوليه أجل أعيادنا خطرا وأعمقها أثرا ، فيه ولدت مصر الجديدة ، وفيه رفع الجيش رأس مصر المجيدة ، وفيه صح الوعي من مصر الرشيدة . وفيه هدم قائدنا نجيب أكبر حصون البغي ليبني على أنقاضه دولتنا من جديد

إن أرواح الأبرار من أسلافنا تطوف بنا مرفرفة ، ففي أرضنا فرحة وفي سمائنا تبريك

إننا سنجعل من يوم ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ طلائع موكب الحياة والنور ، سنجعل من هبتنا فيه بداية يقظة موصولة تصحح على هديها أوضاعنا ، وتستقيم على ضوئها أمورنا ، فلا نضل بعد اليوم وقد وضحت معالم الطريق

إننا سنجعل من ذكرى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ درساً بليغا في العزة القومية نلقنه صغارنا حتى نجنبهم التجربة القاسية التي مررنا بها فما سلمنا منها إلا بمعجزة نجيبية

سنلقنهم أنه في يوم ٢٦ يوليه أمر المصريون الفلاحون السادة الأتراك أن ينزلوا عن عرش لا يستحقونه فأذعنوا صاغرين . ثم أمروهم أن يغادروا مصر فورا لا تشيعهم السلامة بل قذفت بكبيرهم إلى البحر لعنات شعب مرور . وأمر قائدنا نجيب ربان الباخرة أن يطرحه على شاطئ بعيد ثم يعود إلى مصر فورا بباخرتنا (المحروسة)

سنجعل من ذكرى ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ نشيدا قوميا يحفظه عنا أبناؤنا ليعرفوا حقهم فلا يفرطوا فيه ، ويعتزوا بوطنهم فلا ييأسوا منه مهما ران عليه الظلام والكمد ، فهاهو النور انبثق دفعة واحدة ، وعلى غير انتظار من جوف ليل بهيم عابس حسب معه الكثيرون أن الصبح ضل طريقه ، فإذا به غامر الضياء مائس النور

سلام على مصر بين أوطان العالمين
وسلام على شعب مصر بين الخالدين
وسلام على جيش مصر بين الغر الميامين

نعمات أحمد فؤاد

تحية جديدة *

للرسالة المجيدة

بمناسبة أعيادها الأربعة فى يوم واحد
العدد الألف ، والسنة العشرين
وعيد الأضحى ، وعيد استقلال مصر

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

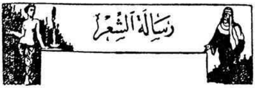
لم لا أعود إلى تحيتها ... تلك التى تحنو على الأدب ؟!
لم لا أعود لها فأحمدها ... والحمد عند العطف والحدب !
تطوى السنين بنا وتنشرها ... تختال فى أثوابها القشب
وتفيض بالآداب مترعة ... بالفن يبعث هامد الطرب
الحق ديدنها وغايتها ... تجلوه بين الشك والريب
كم غابت الأقمار واحتجبت ... إلا (الرسالة) فهى لم تغب !
لولا الرسالة لانطوت شهب ... منا وراء الغيم والحجب
لولا الرسالة ماجرى قلمى ... بالمعجزات وجد فى الطلب !
كنا معاً من فجر مولدها ... كصبية شغفت فؤاد صبى !
ألهو بها وأجد مقتبسا ... منها وليس الجد كاللعب
كم كنت أحبو فى قراءتها ... واليوم أحبوها بوحى نبى !!
أعيادها مثنى ثلاث وقد ... وافت رباع تفيض بالعجب
فى عيدها الألفى ساطعة ... فى عامها العشرين كالشهب
أضحى بها (الأضحى) يحج إلى ... بيت البيان وكعبة الأدب !
والنصر وافى مصر وامتزجت ... آلاؤه بالنور واللهب
إنى ثملت بحبها شغفاً ... حتى شغلت بربها الأرب
ياحبذا (الزيات) كم صلة ... يحبوبها الفصحى وكم سبب ؟
رأس البيان وغيره ذنب ... شتان بين الرأس والذنب !
نالت بلاغته بروعتها ... حد النهى ونهاية الأرب
والشرق يبصر فى براعته ... موسوعة تغنى عن الكتب !
آراؤه فى الفن والأدب ... دع عنك ذكر البدر والشهب
يعتز بالأسلوب فى زمن ... يعتز فيه الناس بالسلب !!
حسب الرسالة أن فى يدها ... يده التى تنهل كالسحب
هيهات أنسى من يؤازرنى ... ويهش للمغمور فى النوب
قد كنت كالمغمور فى ظلم ... بالريف ويح الريف من غضبى !
أحيا كأنى من سوائمه ... وأعيش فيه عيش مغترب
أتضيع أحلام الشباب سدى ... ويظل ذاك الظل فى الكثب ؟!
كم من يد طاشت فداء يد ... راشت جناح النسر بالزغب !
وعلى ملوك البغى دائرة السـ ... ـوء البغيض تدور بالعطب !
تيجانهم قد أصبحت لعباً ... شتى فيا لطرافة اللعب !!
يارب تاج فوق ناصية ... النعل أرفع منه فى العقب !!
ولرب عملاق تعقبه ... قزم فأرداه بلا تعب !
التاج تاج الجيش والقضب ... والمهد عهد الشعب و (الشعب)
وكتائب التحرير ساهرة ... وعناصر التطهير عن كثب
والظلم مدحور فإن برزت ... أنيابه فالرأى للقضب !!
والقائد الأعلى « نجيب » له ... بأس الكمى وفطنة الذرب
ياناشئين كفى مناهضة ... للناشئين الفتية النجب !
أخلوا الطريق لنا فوكبنا ... يحدوه حادى النصر والغلب
أو فالبثوا ... هذى كتائبنا ... تختال بين البيض واليلب
نحن الشباب وتلك نهضتنا ... تسمو على الأفلاك والشهب
كم من فتى منا متى رغبت ... نالت يداه الشمس لم يثب !!
المعجزات لنا نسخرها ... أرأيت فعل الريح بالسحب ؟
وعلى (الرسالة) من أسنتنا ... أصداء هذا الجحفل اللجب
دامت ودام الشرق فى فمها ... أنشودة منشودة الطرب !

أحمد أحمد العجمى

---

* للشاعر قصيدة قديمة مشهورة ، هى (تحية الرسالة فى عيدها العام العاشر) نشرت بالعدد ٤٤ ؛ ومطلعها

حى الرسالة واقبس من محياها ... ماشئت من حسنها أو من حياها
رفعت على الشرق أندى من أزاهره ... كأن من نفحات الخلد رياها



هوى الملك الباغى

للأستاذ محمود البشبيشي

بعزم (نجيب) أدرك الحق طالبه   وروع صرح البغى وانهار جانبه
وأشرق وجه الشعب بعد عبوسه   وولى زمان قد تمادت غياهبه
يسائلنى صحبى وقد بهرتهمو   من الجيش نفاثاته وعجائبه
لمن موكب كالرمح يمضى مسددا   تحوم المعالى حوله وتوا كبه
لمن قامة كالسيف يسطع عزمها   تسير إلى الجبار صبحا تحاسبه
أذاك (نجيب) منقذ الشعب قدبدا   تحف به أنصاره وكتائبه
فقلت ، وقلبى دائم الخفق باسمه :   أجل هو تحدوه العلا وتصاحبه
أجل هو سيف الله يمضى مظفرا   إلى الملك الباغى ، وتلك موا كبه
إلى ملك لم يرع للحق جانبا   وقد شغلته نفسه ورغائبه
إلى ملك قد أثقلته ذنوبه   وذاعت على موج الأثير غرائبه
وعاث بآمال البلاد وأهلها   كما عاث فى الكرم المباح ثعالبه
وقد عزه ما قد أعد وما درى   بأن عيون الشعب يقظى تراقبه
فلم يغن عنه — والجيوش محيطة   به ماله أو قصره ومساربه
أيحسب أن البطش يعصم تاجه   وكيف ؟ وجبار السماء محاسبه !
لقد طوقته الغاشيات فلم يجد   أخا يفتديه أو صديقا يعاتبه
وما الجيش إلا نقمة الله أطبقت   عليه فما تنجيه منها مهاربه
وكيف يرجى رحمة الله ظالم   ويطمع فى لطف الإله محاربه ؟

فلا الجو ينجيه وقد زمجرت به   من الجيش نفاثاته وضواربه
ولا البحر ينجى والبوارج رصد   ولا البر منج والأسود طوالبه
كذلك بأس الله إن حاق بامرئ   « ولو ملكا » ضلت عليه مذاهبه
هو الجيش لله القوى حفاظه   وللوطن المحبوب تنضى قواضبه

لقد ظل دهرا يهتف الشعب باسمه   ويزجى من الألقاب ماهو طالبه
يسئ فيغضى الشعب حلما لعله   يثوب إلى الحسنى وتخبو مآربه
وقد عزه صبر الكرام وما درى   بأن وراء الصبر كبتا يغالبه
وقد حسب الدستور لهوا وملعبا   يقربه حينا ، وحينا يغاضبه
وينساه أحيانا وحينا يهزه   إليه حنان خادع ويداعبه !
وكم همس الشعب الكريم بنصحه   رفيقاً فحلت بالبلاد مصائبه
تمرد واستعلى على الشعب لاهيا   فطورا يرائيه ، وطورا يشاغبه
وأملى له شيطانه فسما له   (نجيب) بجيش لا ترد مطالبه
وصبحه بالجيش فانهار عزمه   وأيقن أن الحق لا شك غالبه
وأدرك أن البغى يصرع أهله   وأن الأمانى العذاب كواذبه
ولاح له طيف المنون فراعه   وقد برزت أنيابه ومخالبه !
فألقى إلى الجيش الأبى زمامه   فما بات حتى غيبته مغاربه
وأقلع عن أرض الكنانة خاسئا   تشيعه آثامه ومعايبه
خدعنا به حينا فلما تبينت   مثالبه جئنا إليه نحاسبه !
وإنا لشعب لا تلين قناته   إذا استل سيفا لا تخون مضاربه
(إذا الملك الجبار صعر خده   مشينا إليه بالسيوف نعاتبه)

محمود البشبيشى

نشيد الخلاص

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

آن للظلم أن يزول فمرحى   بزوال القيود يا مصر مرحى
كم شربنا الحياة جرحا وجرحا   وعرفنا الجهاد كبتاً وكبحا
وانتهينا إلى النجاة .. فمرحى
بزوال الطغاة والبغى مرحى

آن للبغى أن يزول فعالا   كالخطايا ... وأن يزول رجالا
بارك الله جيشنا حين قالا   قولة الشعب « زل » فخر وزالا
بعد عهد من البلاء توالى
آن ياشعب أن نعيش فرحى
بزوال الطغاة والبغى مرحى

كم صبرنا على الهوان زمانا   وشربنا الخداع آنا فآنا
ونسينا الكفاح حتى سلانا   فصحونا على بشير دعانا
دعوة النصر صادقا وهدانا
لطريق الخلاص يامصر مرحى
بزوال الطغاة والبغى مرحى

حسين محمود البشبيشى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

مدرسة الرسالة

في ١٥ يناير سنة ١٩٣٢ بزغ النجم فصدر العدد الأول من الرسالة ، وفي أول سبتمبر سنة ١٩٥٢ يصدر العدد الألف من هذه المجلة خلال فترة بلغت عشرين عاما ، تطور فيها الأدب والفكر والفن ، وانتقل من مرحلة إلى مرحلة ، وسايرت الرسالة هذه النهضة ووجهتها وتفاعلت معها ، وتركت فيها آثاراً قوية حية ما تزال باقية خالدة

وفي خلال هذه النهضة الأدبية التي بدأت بعد الحرب العالمية الأولى نشأت مدرستان : مجلة السياسة ومجلة الرسالة

أما مدرسة السياسة فقد بدأت منذ عام ١٩٢٢ وانتهت عام ١٩٣١ ، أما مدرسة الرسالة فإنها منذ بدأت لم تنته ، وما زالت تواصل جهادها في قوة

كانت مدرسة السياسة تُنشئ الأدب الجديد ، وتواجه التيارات المختلفة ، وتقف من الحضارة الأوربية ومن القديم والجديد ، ومن الشرق والغرب؛ موقفا بين الوضوح والغموض ، وبين الاتزان والشطط ، وبين الاعتدال والاضطراب

أما مدرسة الرسالة فقد جاءت بعد أن استقرت الأمور ، ونضج الأدب وبدت ثماره دانية القطوف ، وانتهت المرحلة العصيبة الحادة إلى غير عودة

وبينا كانت مدرسة السياسة تقول بالفرعونية ، وتدعو إلى التهييج بكتابين متواليين عن الشعر الجاهلي ؛ والخلافة وأصول الحكم ؛ كانت الرسالة تقول بالامتزاج ،وتقريب وجهات النظر ورعاية القديم وبثه ، وتقبل الجديد بعد دراسته ونقده

وكان الصراع في « السياسة » بين الأدب القديم والجديد ، أقرب إلى الهدم منه إلى البناء ؛ فلما جاءت الرسالة واءمت بين القديم والجديد ، وبين الشرق والغرب على هدى وبصيرة

وبعد أن مالت « السياسة » بالأدب إلى النيل من شوق والرافعي ، جاءت الرسالة فأنشأت روحا جديدة قوامها الجمع بين روح الأدب القديم والجديد ، ورفع مستوى العقول والأفكار والنفوس عن ميدان الصراع ، وخلق ميدان للبناء والإنشاء

وفي مدرسة « السياسة » كتبت الأقلام التي أبرزتها النهضة بعد ثورة ١٩١٩ : طه حسين ، وهيكل ، والمازني ، وعنان ، ومحمود عزمي .. أما في الرسالة فقد كتبت هذه الأسماء ، ونشأت في محيطها أقلام جديدة هي صفوة الكتاب الذين يلون الصف الأول

وبعد أن كانت الكتابة في « السياسة» من ذلك النوع الذي أطلق عليه الدكتور طه حسين اسم « الأدب الموضوعي » وهو النقد ، جمعت « الرسالة » بين الأدب الموضوعي والأدب الإنشائي .. وكان الخلق والفن الجديد أغلب

كان قوام مدرسة الرسالة روح « الزيات » ، الأسلوب البليغ ، والعبارة المتزنة ، والكلمة النقية ، والنقد النزيه ، والإبداع ..

وبالرغم من أن بعض كتاب « السياسة » انتقلوا إلى الرسالة إلا أن إنتاجهم قد تطور وتحول من حال إلى حال

فالدكتور طه حسين الذي كان يكتب فصولا في تصوير الحياة الاجتماعية في العصر الأموي والعباسي تحت عنوان « حديث الأربعاء » في « السياسة » ، كتب فصولا غاية في الروعة عن سيرة الرسول في الرسالة باسم « على هامش السيرة » ، وكان هذا فنا جديدا من فنون القول والإنشاء

والرافعي الذي كان يكتب حديث القمر ، وأوراق الورد ، والمساكين وغيرها قبل أن يتصل بالرسالة ، فلا يقرأها إلا الصفوة قليلة من الأدباء ، كتب في الرسالة أجود إنتاجه ، ونزل إلى مرتبة القراء الوسط ، وخلف كتابا ضخما هو « وحي القلم »

وتوفيق الحكيم بدأ على صفحات الرسالة أول كتاباته في الأدب والفن في مساجلاته مع طه حسين عن نشأة الحوار ، والفن الإغريقي والفرعوني

وعلى صفحات الرسالة بدأ العقاد عبقرية محمد، والحكيم قصة

محمد السرحية ، ومن ذا الذى ينسى مقالات عبد الرحمن شكرى فى الرسالة بعد أن ظل أعواما وأعواما لا يكتب حتى نسيه الناس

وعبد الوهاب عزام وأسفاره ورحلاته ، وكتاباته عن التصوف

والكتاب الذى يعد أجمل ما كتب زكى مبارك بدأه فى الرسالة : « ليلى المريضة فى العراق »

والقصصى الإغريقى الخالد ، كتب لأول مرة على صورة رائعة فى الرسالة عندما أنشأه دريني خشبة

والمساجلات الرائعة الخالدة ، كانت صفحات الرسالة منبرها أمثال « بين الرافعى والعقاد » « بين سيد قطب ومحمود محمد شاكر وسعيد العريان » « ولايتينون وسكسيتون » بين العقاد وطه حسين

و«صداقات الأدباء» بين توفيق الحكيم وزكى مبارك والعقاد

و« ما لزكى مبارك وكتاب الله » بين زكى مبارك ومحمد أحمد الغمراوى

و« الشيخ المرصنى » بين زكى مبارك والسباعى بيومى

و« أومن بالإنسان » بين على الطنطاوى وعبد المنعم خلاف

و« الأدب المهموس » بين محمد مندور وسيد قطب

والمذهب الرمزى والتبيانى بين العقاد وكثير من الكتاب

وكان للرسالة فضل فى إبراز شخصيات أدبية غاية فى القوة فى مصر والشرق وفى مقدمتها : الأستاذ صلاح المنجد وعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى وجواد على وفهمى عبد اللطيف وأنور العطار وسعيد العريان ومحمود محمد شاكر وعزيز أحمد فهمى ومحمود الخفيف وعبد المنعم خلاف

ومن كتابه ثلاثة كانوا غاية فى القوة ، وكان ينتظر لهم مستقبل حافل ، لولا أنهم انتحروا : فخرى أبو السعود وفيلكس فارس وإسماعيل أدهم أحمد

وغاية القول أن مدرسة الرسالة كانت مدرسة الخلق والإنتاج، وأن الأدب المعاصر مدين لها بكل ما فيه من قوة وعظمة وجلال، ولا نبالغ إذا قلنا إن كتابا من الكتب الأدبية الحديثة لم يكن قبل صدوره إلا فصولا فى مجلة الرسالة. ونحن نهنئ الأستاذ الزيات بهذا الفضل الذى طوق به الأدب العربى الحديث

هل يكتب التاريخ من جديد

فارق كبير بين ما يكتب الآن ، وبين ما كان يكتب قبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، إن القيود التى كانت موضوعة على الحقائق قد رفعت ، فأصبح فى مقدور كل من يعرفها أن يعلنها صادقة ، هذه الحقائق هى مادة التاريخ ، الذى يجب أن يكتب من جديد

إن الأحزاب السياسية التى كانت تلى الحكم فى الثلاثين عاما الأخيرة قد كانت فى حديث الصحف والكتب قبل هذا التاريخ صاحبة أمجاد ، وكان فلان وفلان وفلان هم زعماء الشعب ، أما الآن فقد أمكن أن تقال الحقيقة ، وهى مدى الأثر الذى تركته هذه الأحزاب بصراعها ونفاقها فى البلاد

إن الملك السابق كانت تكال له عبارات التمجيد والتقدير والإعجاب من رجال السياسة والدين والصحافة ، وقد تحول هذا كله اليوم إلى إعصار من الحقائق التى كانت محجوبة .. والتى كان يمكن أن تظل محجوبة وقتا طويلا لولا هذا الانقلاب

والصحف قبل ٢٣ يوليه كانت تحمل أشياء كثيرة ، لا أظن أنها صالحة لكتابة تاريخ مصر كتابة صحيحة ، ولا أظن أنها المادة النافعة لهذا ، والمؤرخ الذى سيعتمد عليها سيكتب حتما صورة خاطئة لمصر

وقد ألفت فى هذه الفترة الطويلة كتب عن فاروق وفؤاد وإسماعيل وعن سعد زغلول والنحاس ، وعن السياسة والوطنية والمجتمع ، كل هذه المؤلفات ما عدا القليل منها أصبح زائفا

ولم يكن هناك غير عبد الرحمن الرافعى وفتحى رضوان وبعض كتاب الإخوان المسلمين الذين كانوا يقولون بعض الحقيقة أو يحاولوا فى لباقة أن يقولوا الحقيقة المرة

لقد كانت المطامع والأهواء تغطى على كل شئ ، فلطالما زيفت الصحف الحقائق ، وقالت غير ما هو كائن ، وصورت الأمور على غير وجهها ، وكان ذلك فى بعض الأحيان رغم أنفها ، وفى بعضها الآخر بإرادتها ، وكانت بعض الصحف مشتراة ، للأحزاب أو لغير الأحزاب، لتزييف هذه الحقائق ، ولذلك وجب أن يكتب تاريخ مصر : تاريخ الملك والأحزاب والسياسة والأزهر من جديد بعد أن أصبح ذلك فعلا فى مقدور كل كاتب

أيها الكتاب : اكتبوا تاريخ مصر من جديد

أنور الجندى

رسالة النقد

كتاب معجم ما استعجم
من أسماء البلاد والمواضع

تأليف أبي عبيد البكرى الأندلسى

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

تحقيق الأستاذ مصطفى السقا المدرس فى الجامعة المصرية

للأستاذ حمد الجاسر

بقية ما نشر فى العدد الماضى

الملاحظة الثالثة

وقع فى هذا الجزء هفوات تحتاج إلى إصلاحات ، منها :

١ — ص ١١٥٧ :

ما كان بين الشيطين ولعلع   لنسائنا إلا مناقل أربع

والبيت بهذه الصفة ، وإن استقام وزناً — إلا أنه خرج عن وزنه الصحيح ، إذ هو من الطويل ، وبعده : —

فجئنا بجمع لم ير الناس مثله   يكاد له ظهر الوريعة يظلع

وصوابه إذن : (فما كان ... لنسوتنا) . كما فى كتاب لغدة الأصبهانى ، عن بلاد العرب (ص ١٧ نسختنا الخطية المقابلة على نسخة السيد المرحوم محمود شكرى الألوسى)

٢ — ص ١١٨٥ : (المجازة ، ومعرض ، وحجر ، والعامرية والصواب : (العارية) وهى قرية من أعراض اليمامة ، كما نقل المؤلف هنا ، ولا تزال معروفة ، تقع غرب مدينة الرياض مسافة ٣٠ كيلا (كيلو مترا) — أنظر « معجم البلدان » هذه المادة و « صفة جزيرة العرب » ص ١٦٢ —

٣ — وفى ص ١٢٠١ : (وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى مدين ، أميرهم زيد بن حارثة ، فأصاب سبياً من أهل ميناء ، قال ابن إسحاق : وميناء هى السواحل) . كذا — وكلمة « ميناء » تصحيف « مقنا » بالقاف مكان الياء ، ولعل هذا التصحيف سببه أن الفاء بالخط المغربى تنقط بواحدة من تحتها ، فصحف أحد النساخ القاف فاء ، ثم صحفت الفاء ياء لاشتباهها بالياء . ومقنا قرية معروفة الآن فى ساحل مدين ، بين قريتى « ظبا » و « حقل » وفى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سكانها من اليهود ، إذ هى قرية من وادى القرى . (انظر هذه المادة فى معجم البلدان ، كتاب الرسول (ص) لأهل مقنا فى « فتوح البلدان » للبلاذرى ، وفى « الوثائق السياسية » للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى ، المطبوع بمصر ، بمطبعة لجنة الترجمة والنشر والتأليف)

٤ — وفى ص ١٢٣٦ : (ثم تنزل تريم وهى لبنى جشم) . و(تريم) تصحيف (بريم) بالباء الموحدة المضمومة فراء مفتوحة فياء مثناة تحتية ساكنة ، فميم ، وهو منهل لا يزال معروفا بهذا الاسم ، فى عالية نجد ، بقرب جبل حضن ، وثم منازل بنى جشم قديما ، وبقاياهم فى هذا العهد يقرب هذا المنهل (وانظر لتحديده « صفة جزيرة العرب » ص ١٤٤ و ١٥١ وكتاب لغدة الأصبهانى حيث تجد فيه : وفى بريم وهم شركاء جشم فيه ، قال الراجز : (تذكرت مشربها من تصلبا — قصبا مثقبا) . أما تريم — بالتاء والمثناة الفوقية المكسورة ، بعدها راء ساكنة فياء مثناة تحتية مفتوحة فميم ، فهو موضع آخر يقع فى شمال الحجاز ، يقرب مقنا ، بين « المويلح » و « حقل » وهو الذى ورد ذكره فى شعر كثير عزة . وتريم — بفتح أوله وكسر ثانيه — بلدة فى حضرموت معروفة

٥ — ص ١٣٤٧ : (قال أبو الصلت الثقفى) . والمعروف (أمية بن أبى الصلت الثقفى)

٦ — وفى ص ١٣٧٠ : (سيحان من جنب) . والصواب (سنحان) بالنون بدل الياء ، وهى قبيلة معروفة فى عهدنا هذا ، من قبائل جنب ، منازلها فى جنوب المملكة العربية السعودية ، وفى أطراف اليمن الشمالية ، فى السراة ، (انظر تاج العروس مادة « سنح » وراجع كتب الأنساب)

٧ — وفى ص ١٣٣٥ : أورد المؤلف شاهدا على تحديد « النميرة » بيتاً للراعى ، وعقبه بقوله : (فذلك أن حقيلا من

ديار بنى تميم) . وكلمة (تميم) هنا مصحفة وصوابها (نمير) وهم قبيلة الراعى ، وحقيل جبل فى بلادهم قال فيه الراعى :

وأفضن بعد كظومهن بجرة   من ذى الأبارق إذ رعين حقيلا

٨ — فى ص ١٣٩٨ : (بلقيس بنت هداد بن شرح) . والصواب ما نقل الأستاذ فى الحاشية عن الجزء العاشر من « الإكليل » : الهدهاد . وأما شرح فصوابه إلى شرح ، كما حقق ذلك الدكتور نبيه أمين فارس (انظر طبعته للجزء الثامن من الإكليل ص ١٩) وورد فى كثير من المؤلفات العربية بصيغ متعددة — الشرح — إلى شرح — ليشرح — لى شرح — وأورده نشوان الحميرى فى مادة « شرح » وسماه بهذا الاسم ، ولكن الهمدانى أوثق وأعلم من نشوان

٩ — وفى ص ١٤٠٣ : (صيد بن همدان) . والصواب : (صيد من همدان) إذ الصيد هؤلاء من ولد عمرو بن جشم بن حاشد ، وحاشد من همدان (أنظر نسبهم فى الجزء العاشر من الإكليل ، وانظر ص ٨٠ ج ٨ منه طبعة الدكتور نبيه فارس)

١٠ — نقل الأستاذ فى حاشية ص ١٢٧٣ — عن ياقوت أن « منفوحة » قرية كان يسكنها الأعشى وبها قبره ، وهى لبنى قيس بن ثعلبة نزلوها بعد قتل مسيلمة . ولا أدرى كيف غاب عن الأستاذ أن جملة (نزلوها بعد قتل مسيلمة) لا تتفق مع كون تلك القرية بلدة الأعشى وبها قبره ، إذ الأعشى مات قبل قتل مسيلمة ، وهو من بنى قيس هؤلاء ؟ وإذن فسكنى بنى قيس متقدم على قتل مسيلمة

هذه بعض الهفوات ، ولم نحاول إحصاءها وحصرها ، ولم نشر إلى الأغلاط الطبعية إيجازاً للقول ، وضنا بالوقت ، ولأن جل من يرجعون إلى هذا الكتاب لتحقيق موضع ما من العلماء الذين لهم من سعة الإدراك والاطلاع ما يمكنهم من التثبت والتحقيق حتى يصلوا إلى الصواب ، حينما يريدون الاستفادة من هذا الكتاب

الملاحظة الرابعة

ذكر الأستاذ السقا — فى مقدمة هذا الجزء — أنه صحح أغلاط المؤلف ، ولكننا نجد للمؤلف أوهاماً كثيرة ، وأغلاطا فاحشة لم تصحح ، وقد ذكرنا فى كلمتنا التى نشرناها فى هذه المجلة عند صدور الجزء الثالث عذر المؤلف فى ذلك . لكونه ينقل عن كتب كثر فيها التحريف والتصحيف ، وهو فى بلاد الأندلس ، البعيدة عن بلاد العرب . ولا نريد استقصاء ما وقع من المؤلف من الغلط ، ولكننا نشير إلى بعضها ، مؤملين من الأستاذ السقا إعادة النظر فيها عند إعادة طبع الكتاب ، فمنها :

١ — فى ص ١٢٨٨ و ١٣٧٠ : (وحسن خبة) بالخاء ، وقد أوردها المؤلف فى بابها ، والصواب (جبة) بالجيم ، وهو منهل معروف فى فلاة واسعة يقع بين بلدتى « حائل » و « الجوف » فى شمال نجد ، وتلك بلاد طيئ فى العهد القديم

٢ — وفى ص ١٢١٨ : (الحزواء) وأوردها كذلك فى حرف الحاء مع الزاى — وهى فى رأيى (الحوراء) التى ورد تحديدها فى صفحة ١٣١٠ وهى فرضة قديمة على ساحل البحر الأحمر ، تقع بقرب بلدة « الوجه » فى جنوبها وقد خربت قبل القرن السابع الهجرى

٣ — فى ص ١٢٥٣ : (الملح) وقال المؤلف إنه مذكور فى رسم القاعة والقاعة تسمى فى عهدنا الحاضر : وادى المياه ، وتقع غرب الإحساء ، ممتدة من الجنوب إلى الشمال ، وفيها قرى كثيرة ومن قراها (ملج) بالجيم بدل الحاء ، وبقربها قرية (نطاع) وقد أورد البكرى فى ص ١٠٤٤ — قول الشاعر

طحون كلقى مبرد القين فعمة   بصحراء ملح أو بجو نطاع

وقال الأصبهانى — فى كتابه عن بلاد العرب ص ٤٥ نسختنا الخطية : (ثم تخرج من بطن غر فتقع فى الستار ، وفيه أكثر من مائة قرية ، . ومن قراها ثاج قال ذو الرمة

نحاها لثاج نحية ثم إنه   توخى بها العينين عينى متالع

وعينا متالع منها ، وقرية يقال لها ملج ، وقرية يقال لها نطاع ، قال العجاج ،

إن تك وهنا ظمنت عن دارها   عامدة لملج أو ستارها
فقد تصيد القلب باحورارها   وكفل ينصار بانصيارها

فإذا خرجت من الستار وقعت فى القاعة ، فيها مياه كثيرة) ا هـ

٤ — وفى ص ١١١٧ (كداء . . جبل مكة ، هو عرفة بعينها)

٥ — وفى ص ١٢١٧ (المروة جبل بمكة معروف ، والصفا

جبل بإزائه ، وبينهما قديد ، ينحرف عنها شيئا ، والمشلل هو الجبل الذى ينحدر منه إلى قديد) إلى غير ذلك من الخلط فى تحديد المواضع ، مما لا نطيل بذكره ونرى أن هذه الصحيفة لا تتسع لبيان وجهة الصواب فيه

وبعد كل ما تقدم : فإننا نشارك حضرة الأستاذ السقا فى قوله (إنى لمغتبط إذا أقدم معجم ما استعجم بعد إتمام طبعه فى هذه الصورة إلى العلماء ، والباحثين فى الثقافة العربية ، ليحلوه من خزائنهم محل الصديق الوفى ، يفزع إليه فى التماس العون والرأى ، إذا أدجن ليل الشبهة ، وغامت سماء الشكوك ، خاصة فيما يتعلق بالجزيرة العربية ، التى هى الوطن الأول للاسلام والعرب والعروبة) ونزجى لحضرته — مع هذا — شكرنا ، لما أبداه للعربية من يد بيضاء

حمد الجاسر

الإمام المراغى

تأليف الأستاذ أنور الجندى

للأستاذ عبد العزيز الدسوقى

كان الإمام المراغى .. طيب الله ثراه .. ورضى عنه . . قبساً من أقباس الفكر الخالق المتعمق ، وشعاعا من نور النبوة الصافية ... ونوراً من هدى السماء . مزج الدين بالدنيا ، ووصل الأرض بالسماء ... وواءم بين وثبات الفكر المتطور المتألق ، والعلم الزاحف ... وبين منابع الدين الغامرة العامرة ... حتى صار بحق ثالث ثلاثة أحدثوا فى الشرق والعالم الإسلامى ، ثورة فكرية بعيدة المدى . .

... وكان — الإمام — أحد النماذج التى تعشقتها ، وكنت أستلهمها . وأستوحيها .. كان حبيباً إلى نفسى بنظراته النفاذة العميقة . وصوته الهادئ الموسيقى العذب النبرات ، الفياض بالإخلاص . المعبر القوى ، .. ثم اختفى بعد حياة حافلة بالكفاح والأصلاح .. وخنق صوته غول الفناء الرهيب .. وكادت سيرته تختفى فى قبو النسيان . . والشرق . . ومصر خاصة ما أكثر ما ينسى أبطاله ، فلم نسمع عن المؤلفات التى تكتب عن المراغى وشخصيته متعددة الجوانب ، ولم نر الأزهر يخلد ذكرى الإمام الذى وقف حياته على إصلاحه ، حتى قيض الله لهذا الإمام .. الصديق الكريم الأستاذ أنور الجندى وهو وإن كان من غير بيئة الأزهريين ، كما يحاول أن يشير إلى ذلك فى مقدمة كتابه إلا أن هيامه بالشرق ، وتوفره على دراسة المسائل الإسلامية ، وكتبه المتعددة فى هذا المضار ، شاهد قوى على أنه ليس غريبا على جو الإمام والمراغى...

لذلك أقدم الزميل الحبيب فى إيمان حار .. وأخرج كتابه الإمام المراغى . . والكتاب وإن كان صغير الحجم كما تقضى بذلك طبيعة سلسلة « إقرأ » إلا أنه ألم بكل حياة المراغى .. فكتب عن المراغى طفلا تنطبع على نفسه انطباعات الطفولة فى قريته المراغه بصعيد مصر ، وكتب عنه قاضيا لقضاة السودان ، وصوره تصويرا بارعا ، وتعمق نفسه،وقارن بينه وبين محمدعبده ، وذكر وطنيته ، وإصلاحه فى المجتمع والأزهر ، وتجديده ونزعته المتحررة ، كتب عن كل هذا فى أسلوب مشرق يفيض بالحماس الحار ، والإخلاص لحياة الإمام المراغى ...

وأنا لا أستطيع أن ألخص كتاب الزميل بهذه العبارات القلائل ، فليس الكتاب قصة ألخصها ، وإنما هو دراسة نفسية لحياة الإمام تنبسط أحيانا ، ثم تنقبض أحيانا أخرى ، وتمر على بعض الأدوار مرورا سريعا مكتفية باللقطات المعبرة ، واللمسات الجياشة ، وتمعن فى التعمق واستكناه الأسرار فى بعض الأدوار ، ثم تمضى هذه الدراسة شيئا فشيئا كما تمضى الحياة نفسها حتى يبلغ الكتاب أجله ، وتخمد الجذوة ، ويسدل الستار على حياة الإمام ، وهنا ينتهى الكتاب ، ولكنه يترك فى النفس خطوطا قوية ، ودبيباً عارما ، وهمساً فياضا . يدفع المرء إلى التأمل .. والكتاب الذى يدفعك إلى التفكير بعد قراءته هو كتاب قد أدى رسالته

لذلك أهنئ الصديق أنور الجندى بهذا المجهود الطيب ... جزاه الله عن العروبة والإسلام خير الجزاء

عبد العزيز الدسوقى

البريد الأدبي

عبد الحميد الزهراوى

جاء فى عدد المصور ١٤٥١ (١٠ ذى القعدة ١٣٧١ — أول أغسطس سنة ١٩٥٢) تحت عنوان شيخ الصحافة أحمد لطفى السيد يتكلم .. أن الشيخ الزهراوى عاد إلى وطنه سوريا ليكافح الفرنسيين هناك ويرد إلى بلاده حريتها واستقلالها ... فلم يرع الفرنسيون إلى هؤلاء الوطنيين الأحرار فنصبوا لهم المشانق وأزهقوا أرواحهم ، وكان الشيخ الزهراوى فى مقدمة المشنوقين

والحقيقة أن الشيخ رحمه الله كان ضمن الذين حكمت عليهم المحكمة العسكرية التى أقامها جمال باشا فى عالية بلبنان إبان الحرب العالمية الأولى

ولقد أنشأ الأحرار العرب جمعيات :

الإخاء العربى ، جمعية العهد ، المنتدى الأدبى ، الجمعية السورية العربية ، الجمعية القحطانية ، حزب اللامركزية . وغيرها

وكان الزهراوى مؤسسا للمنتدى الأدبى بإستنبول ومروجا لبرنامجه السرى ، وتوالى رئاسة حزب اللامركزية واشترك فى مؤتمر باريس يوم عين فى مجلس الأعيان ولم يقبل هذه العضوية إلا بموافقة حزبه ، فهو فى مقدمة الأحرار العرب الذين ذهبوا ضحية إهمال القنصليه الفرنسية فى بيروت وهى التى وضعت السلطات التركية اليد على محفوظاتها السورية ، واتضح لها منها وجود حركة منظمة لفصل البلاد العربية من الدولة العثمانية وتمكن فرنسا من الاستيلاء عليها

وقد جاء فى هذه المحفوظات مايثبت سعى البعض فى قلب سوريا إلى إمارة ممتازة تحت حماية فرنسا تدار من قبيل أمير مسلم ينتخبه الأهلون بكامل الحرية .. برقية مسيو دوفرانس فى ٢٢ مارس سنة ١٩١٣ إلى وزارة الخارجية الفرنسية

كما تبين منها مساعى السير ألدون غورست المعتمد البريطانى فى مصر من أجل قيام حركة لصالح بريطانيا وإرساله للأنصار والأتباع إلى سوريا تنفيذا للسياسة الموضحة بين الدول الاستعمارية على اقتسام أملاك الدولة العثمانية بتحطيم الخلافة الإسلامية وأن التقسيم سيجعل سوريا من نصيب فرنسا من حدود حيفا إلى إسكندرونة ولإنجلترا من حيفا إلى حدود مصر مع جزيرة العرب والعراق

كما تبين بشكل واضح وجود فريق يسعى جهده فى لبنان لتحقيق :

١) استيلاء فرنسا على سوريا

٢) ضم متصرفية بيروت إلى لبنان بعد فصلها من ولاية بيروت

٣) وضع لبنان بأكمله تحت سيطرة ونفوذ فرنسا

ولاشك فى أن الأحرار العرب ومن بينهم الشيخ الزهراوى لم يكونوا على علم تام باتجاهات السياسة الاستعمارية وأهدافها وهى التى استغلت غفلتهم

ولذلك ذهبوا ضحية هذه السياسة الملتوية الجبارة التى سلمت أحرار العرب ومروجى هذه السياسة لحبال المشانق فكأنها فى سبيل التخلص من رجال المبادىء باعت الأنصار والأتباع — والخونة — معهم ، وتلك عبرة للأمم الناهضة ورجالها المخلصين الأبرار لكى يحترسوا من هذه الدول

ولقد تيقظ أحرار العرب لمصيرهم من أول اجتماع لمؤتمر باريس سنة ١٩١٣ وكان لموقف هؤلاء رنة وصدى فى الدوائر الاستعمارية إذ أعلنوا أنهم فى كفاحهم ينشدون حرية البلاد العربية لابيعها وتسليمها بعد الخلاص للدول الناصبة

والسيد الزهراوى أحد الذين غرتهم الحركة فكان فى مقدمة الأحرار الذين ذهبوا ضحية الاستعمار الأوربى والخونة . رحمه الله وغفر له

أحمد رمزى

القائم بأعمال مصر سابقا فى سوريا ولبنان

ألف .. ستتبعه ألوف !

يحمل هذا العدد من « الرسالة » الزاهرة رقم الألف ، فى لغة الأرقام ... أما فى لغة البيان فإن جهود « الرسالة » يخطئها الحصر ، ولا يحدها إحصاء .. أو ترقيم ...

وإنا لنبعث — فى هذه المناسبة — بالتحية الحارة الخالصة

لأستاذنا « الزيات » وأعوانه من حملة الأقلام الحرة التي سمت بالرسالة إلى تلك المنزلة الرفيعة في دنيا الصحافة ، ودنيا الأدب ... آملين أن تتبع الألف ألوف ... وألوف ... حتى تتبوأ مكان الصدارة في الصفوف !

لقد حملت « الرسالة » منذ عددها الأول مشاعل الأدب الرفيع ، فحببت إلى القلوب هذا اللون من الأدب ، في وقت تنافس فيه المتنافسون في تقديم ألوان رخيصة من الأدب للشباب ، محاولين قتل الروح المعنوية في نفوسهم ، بما يقدمونه له من أدب داعر ، وصور ماجنة ، وقصص يسرى في فصولها السم !

حملت « الرسالة » مشعل الأدب ، تقود على ضوئه كتائب الشباب نحو أهداف العزة والمجد ، وتخرج في معهدها الكثيرون من حملة الأقلام الحرة ، التي تؤمن بما تكتب ، ولا تكتب إلا ما تؤمن ... فأصبحت المنبر الذي تتلاقى فيه أقوى الأقلام .. أقلام الإصلاح ، والتقدم ، والتوجيه السديد !

حملت لمحبي القصة أرفع القصص .. وحملت لمحبي المقال خير ما يقرأ ... وحملت لمحبي العلوم كل ما يعوزهم ... كل ذلك في أسلوب رفيع ... ونهج بديع ... ما حادت عنه يوما .. وما رضيت عنه بديلا !

وبعد .. هذه تحية سريعة .. أسجلها على صفحات « الرسالة » إقراراً للحق ... واعترافا بالفضل .. لا أبغي من ورائها المديح ولا الإطراء .. لأن « الرسالة » .. وصاحب « الرسالة » .. وأقلام « الرسالة » .. كل أولئك ليس في حاجة إلى المديح .. ولا إلى الإطراء !

عيسى متولي

معاهد للأمهات

حبذا لو أنشئت في مصر والشرق معاهد للأمومة ، تتلقى الأمهات بين جدرانها دروسا شتى في تربية أطفالهن ، وينشئهن النشأة الصالحة التي يقوم عليها تكوينهم الشخصي السليم

يدفعني إلى هذا التفكير ما يلاحظ على كثير من الأمهات من أخطاء ملموسة في تنشئتهن أطفالهن وطبعهم بطابع يسوده التعقيد والاضطراب والجبن والفزع ، والحيلولة بينهم وبين الحياة الصحيحة التي يجب أن يشبوا عليها ، ويندر أن تجد الأم الحازمة التي تنشئ أطفالها على الشجاعة الأدبية والخلقية والاعتزاز بالشخصية ، والثقة بالنفس والاعتماد عليها ، والتي تفتح أمامهم منذ الصغر آفاقا فسيحة من الطموح والمثابرة والتنافس والإقدام

لا تزال بعض الأمهات يقفن عقبة صامدة في سبيل النضوج الفكري والشخصي لأطفالهن ويمقتن التفتق الذهني لهم ، محاولات أن يجعلن منهم آلات صماء تأتمر بأمرهن ، وتتحرك بإرادتهن ، وتنشأ على الحياة التي توافق مزاجهن. أبصرت سيدة ذات يوم تؤنب طفلها لأنه اختلس لحظات من وقته ليتصفح مجلة للأطفال بحجة أنها تشغله عن استذكار دروسه ، وبهذه الحجة نفسها تحرم بعض الأمهات على أطفالهن أن يدنوا من المذياع أو يتصفحوا أي نوع من الصحف والمجلات ، وأبصرت بنفسي أما تنهر طفلها في طريق عام فارضة عليه التزام الصمت وعدم الثرثرة ، وكان هذا عقابا له لأنه سألها شرح بعض المعلومات العامة البسيطة التي لم يتسع ذهنه الصغير لهضم سرها ، وأكثر من هذا ما تعمد إليه بعض الأمهات من تكلف القسوة الدائمة على أطفالهن باسم الأدب والتربية ، ومن بث الروع في نفوسهم ، وتهديدهم بالمروعات والمفزعات ليشبوا على أكبر قسط من الجبن والهلع

لقد سمعت بنفسي إحدى الأمهات الجاهلات في طريق عام تستعين بالشرطي ليحمل طفلها على الحد من بكائه ، والخضوع لأمرها بمتابعتها في سيرها ، وما أكثر ما تخترع الأم الجاهلة من الأسماء الفظيعة للأشباح المجهولة تروع بها أطفالها حتى يناموا إذا لم يحل لهم النوم ، وحتى يسكنوا إذا طابت لهم الحركة ، وحتى يصمتوا إذا عن لهم أن ينطقوا ويتكلموا

إن الطفل كالمعدن السائل تسهل صياغته وتكوينه ، والأم الجاهلة تستطيع أن تخلق منه سفيها عييا ، وجبانا مضطربا ، ومخلوقا لا شخصية له ، كما تستطيع الأم المتعلمة أن تخلق منه إنسانا ذا شخصية فذة يفيد نفسه ووطنه وأمته

إن معاهد الأمومة من الأهمية بمكان ، وسيكون لها أثرها الفعال في خلق جيل من الشباب النافع الذي ينهض ببلاده ويصل بها إلى ذروة المجد ، فمتى يفكر المسؤولون في إنشائها ؟ ، نأمل أن يكون قريبا ، والله الموفق

رمل الإسكندرية نفيسة الشيخ



ذيول الحادث

عن الإنجليزية

بينما كان رئيس الشرطة غارقا فى أفكاره ، مستسلما لتأملاته يتبع بنظره تموجات الدخان الصاعدة من لفافة تبغ كان يدخنها ، دخل عليه زائر بادى الاضطراب ، شاحب اللون ، غائر العينين يخيل لمن يراه أنه يشكو أرقا طويلا ، وكان يمشى متثاقلا كأنه ينوء بحمل سر خطير . فتهالك على مقعد أمام الرئيس ، وابتدأ الحديث من غير تحية ولا سلام :

— إذاً لم يخطئ ظنى ، فإن رجالك يتحرون دار المستر (جين أرنوت) ليقفوا على آثار الجانى ، بعد أن عثروا على قتيلين : أحدهما رجل ملقى على الأرض ، والثانى زوج صاحب الدار ملقاة فوق مقعد ...

فقاطعه الرئيس قائلا :

— أصبت .. ويبدو لى أنك تعلم عن الحادث الشئ الكثير

— نعم . نعم أرجو أن تدعنى أنتهج الخطة التى أريد فى سوق الخبر إليك ، لأنى صحبت أرنوت سنوات كان لى فيها خير رفيق .. فقد حدثت هذه الجريمة المزدوجة ليلة البارحة ، وكانت نتيجة حتمية لعذاب نفسانى برح بأرنوت منذ شهور . .

ولكنه لم يكن قد تذوق منتهى العذاب إلا بعد وقوع الجريمة .. فاجتاحته عاصفة من الآلام النفسية ، ليس فى وسعه أن يتحملها .. فهل تعلم — أيها الرئيس — عنها شيئا ؟

فهز الرئيس رأسه نفيا وهو يحدق فى الزائر العجيب الذى استمر يقول :

— إن أرنوت رجل ذو ثراء واسع ومصالح عديدة متنوعة تتطلب — غالبا — غيابه عن المدينة عدة أيام لتدبير شؤونها وللوقوف على سير أمورها . أما داره فإنه لم يدخر وسعا فى تأثيثها على أحسن ما يكون ، لتكون صالحة من كل الوجوه لسكن زوجه ... تلك الفتاة الجميلة الساحرة التى خلبت لبه عند أول نظرة . . فقال الرئيس مقاطعا :

— ولم تقص على كل هذه الأمور ؟ أما الزائر فاسترسل فى حديثه فى شئ من الدهشة . .

— تمهل قليلا أيها الرئيس فستعلم كل شئ . . فقد كانت زوج أرنوت امرأة فتانة الجمال ، وهى المرأة الوحيدة التى أسرت أرنوت بسهام لحظها ، فجن بها من أول نظرة وصار لا يعرف للعيش طعما إلا بقربها .. وبعد لأى وفق فى الاقتران بها .. فهو لا يضن عليها بحاجة مهما غلت ، ولا يقصر فى أمرها مهما عز إن كان فيهما ما يبعث السرور إلى تلك الحبيبة الساحرة . . . ولكن نيران الغيرة التهبت فى صدره فجأة ، فقد كان يغار عليها من كل عين ترنو إليها غير عينيه ، ومن كل رجل يبادلها الحديث سواه .. ولم يكن ذلك لأنه لا يأمن جانبها ، أو لأنه يشك فى عفتها وطهارتها ، بل لأنه كان يحبها حبا يقرب من العبادة ويعتقد أن أقرانه من أصحاب الجاه يحسدونه لأنه يملك هذه الدرة الغالية المتلألئة فى داره

إن أرنوت أيها الرئيس رجل من طراز خاص ، فإنه بالرغم من هذه العاطفة الجامحة التى تعتلج فى صدره لم يبد على وجهه أثر لهذا الشعور المضنى .. بل كثيرا ما كان يبدو هادئاً رابط الجأش محتفظا بسكونه وفى باطنه عراك عنيف بين عقله وغيرته . . وهو فى هذه الحال يتصور أن أحلى أمنياته أن يلبى أى طلب تسأله إياه ...

فأوقفه الرئيس عن الحديث بإيماءة من يده وقال : أراك ملما بحياته الخاصة إلى حد بعيد

فأجاب الزائر : كنت صديقا مخلصا له ومطلعا على جل أموره

فأحنى الرئيس رأسه موافقا واستمر الزائر يقول :

— كان لأرنوت صديق يدعى « بول ليس » ألزم له من ظله ، جمعتهما مدرسة واحدة فى زمن الطفولة وبقيا صديقين وفيين حتى ساعة الجريمة .. وكان « ليس » أعزب وقد تم تعارفه بزوج صديقه بعد اقترانه مباشرة ، ولم يكن أحد ليدرى ما يخبئ القدر وراء تعارفهما ... أخذ « ليس » يرعى زوجة صديقه ويصحبها إلى

أما كن اللهو والتسلية في غياب ذلك الصديق أرنوت الذي كثيرا ما كانت تستدعي أعماله هذا الغياب .. ولما نمى إليه هذا الأمر، تصنع الرضا أمامها ، ولكنه في الحقيقة بدأ يرتاب في صديقه « ليس » تحت وطأة تلك الغيرة الملتهبة في صدره ، وكان وجهه الهادئ الرزين ، وابتسامته الرقيقة ، يخفيان تحتها هذا الشك القاتل . . .

تذكر أيها الرئيس أن أرنوت رجل كسائر الرجال يعرف الكثيرين ممن غدروا بأصدقائهم وخانوا شرفهم ... وقد يعترض أحد الناس قائلا : إن أرنوت كان مخطئا في ارتيابه ما دام واثقا من صديقه ، ومؤمنا بطهارة زوجه وعفتها ... ولكن أيها الرئيس نحن — أنا وأنت — نعلم أن الغيرة عامل نفساني يثور لأقل وهم وأدنى شك وبقي أرنوت يحترق بين اللهيبين يحس بنار الجحيم تضطرم بين ضلوعه

لم يظهر أرنوت أي أثر لهذا الشك بل تمالك شعوره التام حيالهما ، وأخذ يعاملهما كما عاملهما من قبل ، ولكنه كان ينتظر وينتظر . . . ويفتح أذنيه لكل كلمة تدور بينهما عسى أن يجد بها ما يؤيد شكه وارتيابه ، بل كان يتتبع كل نظرة منها تدنيه إلى رأي قاطع ، وأخذ يراقب كل إيماءة أو حركة ويؤول كل لفظة بما يلائم شكه . فقاطعه الرئيس قائلا .

— ولم لم تحاول تخفيف هذه الحال عن صديقك ؟

فأجاب الزائر :

— إن أرنوت لم يكن يزحزحه أي رأي أو نصيحة عن شكه ، إنه آمن بهذا الشك إيمانا مطلقا . . .

وفي يوم آب أرنوت إلى داره بعد سفرة شاقة فحادثته زوجه عن « ليس » ورعايته لها ، حتى تولاه غضب عظيم فصرخ :

— أراك تبذلين له من العناية أكثر مما يستحق ... بل أكثر مني ... و

ولكن أجابته بابتسامة هادئة ثم قالت :

— إنك تهينني يا أرنوت ...

فقد كانت أيها الرئيس معتزة بكرامتها ... ومن ذلك الحين أخذ أرنوت يتحين الفرص ليفاجئهما في خيانته كما يعتقد . ولما طال به الزمن أخذ يعد العدة لفخ يوقعهما به متلبسين بالخيانة ... فأعلن أرنوت لزوجه أن أمراً استدعى سفره إلى خارج المدينة . . وصحبها عند المساء إلى غرفة النوم وأشعل لفافة من التبغ وجلسا يتحادثان فقال أرنوت :

— هل يزورك « ليس » هذا المساء ؟ وانتظر جوابها وهو يحدق في دخان اللفافة المتموج تجنبا لأي أثر قد يبدو في عينيه فأجابته :

— لا أعلم ... فإنه يزورنا من غير موعد

ونهض بعدها أرنوت وودع زوجه وهي في حلة المساء أشبه بالزهرة الندية الفواحة وذهب إلى غرفته يجمع بعض أوراقه وغادر الدار ... إلى سفرته المزعومة ... وما ابتعد قليلا حتى اختبأ في منعطف إحدى الطرق يترقب ... فبان له شبح من بعيد دنا من باب الدار وولج إلى الداخل ... ذلك الشبح أيها الرئيس هو « ليس » بعينه ، أما أرنوت فأخذ يهدئ من روعه ويتغلب على شعوره حتى عاوده الهدوء ... ومكث في مخبئه مدة يتأهب فيها للمفاجأة المنتظرة ... ثم قفز إلى الشارع ومضى إلى داره . وكان صديقه وزوجه جالسين في القصف يتسامران بحشمة ووقار حين اندفع إليهما أرنوت ووقف يحدق فيهما . فصرخت الزوجة : أرنوت ! بعد أن غلبتها الدهشة لهذه العودة المفاجئة ... أما « ليس » فقال :

— أهلا بك يا أرنوت ماذا عاد بك من السفر ؟ فكتم أرنوت غضبه وأجاب :

— لم أدرك القطار ... وهنا صاح الرئيس بالزائر ...

— صه ! لابد أنك قابلت أرنوت بعد الجريمة

— نعم

— وهل تعلم مقره الآن ؟

— نعم . هذا ما كان يحز في نفسي ليلة البارحة حتى أرقني ، فقد كنت أعمل الرأي من أجله ... وللسبب نفسه تجدني أحادثك بشأنه

— وأين يقيم الآن ؟

— إنه لا يستطيع الفرار فانتظر ... اعتذر أرنوت لهما وغادر الغرفة ، وهما في ذهول عظيم إلى غرفة النوم عله يجد دليلا يؤيد ظنونه . وأخيرا وجد ما يبتغي ... وجد رمادا متخلفا عن لفافة تبغ على المنضدة ... وجد الأثر الذي ينم على وجود « ليس » في هذه الغرفة مع زوجه ... واندفع إليهما را كضا شاهرا مسدسه ...

هرول إليها ليطفئ تلك النيران المتأججة فى صدره ... دخل إليهما بهذه الحال ففاجأه « ليس » واقفا يقول :

إنى ذاهب الآن . لأنى على موعد لاأستطيع التخلف عنه

ولكن أرنوت صاح به :

— انتظر ! لى كلمة معك ... ثم رفع ذراعيه إلى أعلى وتوقدت عيناه شرراً كأن به جنة وانهال عليهما شتما وسبا ، فانقلب وحشاً ظامئاً لشرب الدماء بعد أن غمرته موجة من الظلام الدامس ليس فيها إلا نيران الحقد والغيرة وهما ينظران إليه مشدوهين حتى صاح « ليس » :

أرنوت ! أرنوت ! كفى ، هل جننت ؟ رباه ! إنى لاأسمح لك أن ترمى زوجك بالخيانة وهى منها براء ...

ولكن أرنوت انتفض فجأة ، وصوب مسدسه نحوه ... ودوى طلق نارى ترنح «ليس» على أثره وسقط جثة هامدة ...

ثم دوى صوت أرنوت كالرعد القاصف قائلا :

— أنظرى إلى عشيقك . هاهو ذا جثة لاحراك بها ، أنظريه

فأجابته بصوت ضعيف مرتجف :

إنه يعتقد ذلك ! ثم شحب لونها واهتزت كأنها ريشة فى مهب الرياح وصرخت بفزع :

— أتمم ياأرنوت عملك ! أكمل ياأرنوت صنيعك !

فارتجف أرنوت يحزه ألم الثأر لشرفه المثلوم ، ووجه المسدس إلى زوجته وأطلق النار ... ترنحت المسكينة قليلا ثم سعلت وانفجر الدم بغزارة من فمها وسقطت على الأرض هاتفة : أرنوت ! أرنوت ! ولفظت أنفاسها

نظر إليها أرنوت بعد أن عاوده هدوءه وأشبع رغبة نفسه فى الانتقام وأطفأ نيران الغيرة ، فعاد ذلك الرجل الهادئ الرزين .. فتحركت بقية من حبه فى سويداء قلبه فاندفع إلى الزوجة وهى ملقاة على الأرض وانتشلها بين يديه ووضعها على مقعد بقربه وشبك ذراعيها فوق صدرها ... ولكنه لم يجرؤ على إلقاء النظرة الأخيرة عليها فأطفأ النور . ثم ... ثم غادر الغرفة بنوى الرحيل من المدينة حالا . ولما مر بغرفة النوم لاحظ أنها لا تزال مضيئة فعول على إطفاء نورها ... اندفع إلى تلك الغرفة وهو محتفظ بشعوره متمالك نفسه ، وسرعان ما وقع بصره على شئ أعمته غيرته الجامحة عن رؤيته قبل الجريمة فقذف بنفسه عليه ... إنه عقب لفافة تبغ تحت تلك المنضدة ... فانتشله ونظر إلى علامته ، فاضطرب واهتزت أوصاله وزفر زفرة كادت تقضى عليه ... إنها العلامة الموجودة على لفافات التبغ التى اعتاد تدخينها والتى يحفظ علبتها بدرج خاص مقفل ، مفتاحه لا يفارق جيبه أبداً .. ولكن ما مضى فات وذهبت نفسان بريئتان من غير ذنب . فقد تجلت الحقيقة له ، فإن ذلك الدليل كان عقب لفافته التى تركها قبل سفرته المزعومة ...

فى تلك اللحظة الرهيبة استمرت بين جوانبه نيران الإثم وحز قلبه الألم الممض ...

وهنا أحس الزائر بأنه يكاد يختنق فعالج الكلام فى صوت كأنه الحشرجة وقال :

— نعم ، أيها الرئيس ، تلك اللفافة كانت لى فقفز الرئيس واقفاً على قدميه وراء مكتبه وصرخ :

— لك !

— نعم — لى ليساعدنى الله — أنا جبن أرنوت !

س . ع

مطبعة الرسالة